(على كل مواطن أن يكتب رواية)

الرجل القاموس

حسن بلاسم



6 $

الرجل القاموس

(على كل مواطن أن يكتب رواية)

الرجل القاموس

(على كل مواطن أن يكتب رواية)

حسن بلاسم

لوحة الغلاف: الرسام مهند الدروبي

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2019

First Edition: Beirut - Lebanon, 2019



لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com — dar alrafidain

info@daralrafidain.com — Dar.alrafidain

www.daralrafidain.com — @daralrafidain_1دار الرافدين

ISBN: 978 - 9922 - 607 - 35 - 1

الرجل القاموس

(على كل مواطن أن يكتب رواية)

حسن بلاسم



www.daralrafidain.com



الفهرس



مقدمة

كتب حسن بلاسم هذه النصوص بين عامي 2000 ـ 2009. دوَّن بعضها أثناء رحلته الشاقة والمؤلمة والغرائبية في الهجرة السرية من بغداد حتى هلسنكي. بعض هذه النصوص كانت قد نشرت في مدوّنته الشخصية والمواقع الإلكترونية لتعذّر نشرها في الصحف العربية بسبب الرقابة. أمّا نص (الرجل القاموس) فهو ينشر لأول مرة في هذا الكتاب الذي تعبّر أغلب نصوصه عن هواجس بلاسم حول موضوع الكتابة والمخيلة، والتي كانت بمثابة تمهيد لطريقة تفكيره في الكتابة السردية، حيث ظهرت قصصه المعروفة للقراء لاحقاً في كتب: معرض الجثث(مجنون ساحة الحرية والمسيح العراقي) والله 99.

يعتبر هذا الكتاب إضاءة مهمة على مراحلِ تطور الكتابة السردية عند (بلاسم) والتي نالت الاعتراف العالمي، حيث ترجمت قصصه إلى أكثر من 20 لغة وحصلت على عدة جوائز عالمية.

هذا هو كتاب (بلاسم) الأول الذي يتمّ نشره في بلده العراق، بعد أن هجر بغداد قبل 18 سنة. سيجد القارئ في هذا الكتاب نصوصاً عن الحياة، والموت، والكتابة والسينما عبر ما يسميه الكاتب (الواقعية الكابوسية).

ربما عليكم أن تحاذروا على مقدساتكم، مؤلف هذا الكتاب لن يترك لكم فسحة للتمسك بها، وربما أيضاً ستفقدون القدرة على القراءة بصوت عالٍ،

فأخفضوا أصواتكم كي لا يسمعكم أحد، خشية أن تتوسع دائرة تأثير هذه الكلمات ويضطرب النظام وتعمّ الفوضى.

لم يترك حسن لهذا الجيل سوى كلمة قوية يصعب تداولها بشكل علني، ولا حتى بشكل سرّي، يصعب تمريرها إلى النفس بيسر!

حسن أكرم

الرجل القاموس



الرجل الذي هو قاموس جيب رجل

طفت الكهرباء!

يجلس **الأول** وسط الغرفة وعلى ضوء الفانوس يدوّن ما يمليه عليه **الثاني** الذي يقطع بسكين صغيرة حبات الباذنجان إلى شرائح رقيقة:

السموم نوعان. منها الطبيعي ومنها المصنّع. وتصنف حسب مصادرها أو طبيعتها الكيمياوية. منها التي تسمى الكاوية وأخرى المهيجة وهناك سمّ الأعصاب وسمّ الدم. الكاوية تتلف الأنسجة مباشرة. والمهيجة تحرق الأغشية المخاطية. سمّ الدم يمنع وصول الأوكسجين للدم. وتدخل السموم عادة عن طريق البلع أو الاستنشاق أو اللسع أو المصّ. الدفلة الحمراء وعين الديك والخروع والداثورة واللحلاح والشوكران هي أنواع من النباتات والأعشاب السامة. أمّا اللسع واللدغ فهو من اختصاص العقارب والأفاعي والسمك اللساع والسمندر وبعض الضفادع مثل ضفدع الطين.

يبصق **الأول** في إناء قريب منه...

من أهم أعراض التسمم، يرفع **الثاني** صوته، والتي تختلف حسب زمن مكوث السم في الجسد، ظهور رائحة في الفم تشبه رائحة الكحول.

أنا ولدت بهذه العاهة، يهتف **الأول**، رائحة من فمي كانت تشم منذ الطفولة على أنّها اللسان المتعفن والسليط. أنت تكذب، يردّ **الثاني**، ثم يواصل إملاء رسالته: أمّا الأعراض الأخرى التي عانيت منها جرّاء حياتي المتنقلة، هي اتساع وانقباض حدقة العين، حرقة في الحلق، غثيان وقيء وإسهال، وتشنجات وهذيان

وازرقاق في الجلد، وخلل في إحساس الحب وإغماء أو نوم عميق كسبات أو إضراب. وفي حالة التسمم بدواء يمكن شوي تفاحة وتناولها إلى حين وصول المتسمم إلى المستشفى. لكن خل التفاح يستخدم ضد التسمم بسمكة متعفنة أو الفسيخ أو الساردين المعلب، ويكون شربه بعد إفراغ المعدة عن طريق التقيؤ، ولا داعي للفزع من لسعة نحلة أو بعوضة. تنزع الإبرة ثم يدلك المكان الملسوع بالثوم أو ورق الكراث أو الحبقل. أمّا لسعة الإنسان لأخيه الإنسان فهي بالتأكيد نهاية مؤسفة نعزي فيها المصاب بجنازته وهو يحتضر. ولا حاجة للقيام بشيء سوى إشعال شمعة صغيرة لطرد الشياطين التي تستعد لنهش جسد الميت. أو الإسراع بالنفخ في فم المحتضر إن كان ما يربطنا به علاقة أقرب. وهذا يساعده في تلك اللحظات الخاطفة على اكتشاف الركام الهائل من الأوهام التي عاشها. بدل أن يرحل المسكين مخدوعاً بقسوة.

يدخل **الثاني** إلى المطبخ ومعه الفانوس، فيتوقف **الأول** عن الكتابة. رجعت الكهرباء. يقرران الإسراع في إعداد طعام العشاء قبل أن تنطفئ الكهرباء من جديد، أمامهما ساعتان من النور، يمكنهما أن يستمتعا بمضغ الباذنجان مع قدح كبير من الشاي في نور المصباح.

الأول: هل تتذكر الحصان الميت. كان الرجل يعمل في شركة النفط الحكومية. يقود شاحنة طويلة من الخليج باتجاه العاصمة. ما يميزه عن بقية إخوته إفراطه في الضحك وشرب العرق. هو حشرة مسالمة إلى حدّ ما. لا أدري من أين سمع ابن عربي يقول: (يحمدني فأحمده يعبدني فأعبده) فهو لا يطالع غير مجلات الأزياء. يقص الصور ويعلقها في قمرة شاحنة النفط. وكان يردّ على اتهام إخوته بأن الله لا يحمده ولا يعبده لهذا ينتقم منه بشرب العرق. ثم يضحك بصوت عالٍ ويدير المفتاح في شاحنته. لكن ضحكته تبقى مسموعة بوضوح رغم هدير الشاحنة الثقيل. أمّا نهايته، فأنت تعرفها جيداً.

الثاني: توقف فقط عن مقاومة الواقع بدماغ شعري. رغم أنّ كلينا ما زال يتفق على أنّ الشعر عائق لا حاجة لنا به مهما حاولنا. لكنني أتهمك بصراحة بممارسته في كثير من الأحيان. أنت تنكر ذلك. لكني أشعر بترددك. ما زال هناك جذر سرّي يشدك إلى الشعر. كلما عقبت على قصيدة: هذه ليست قصيدة. القصيدة مزمار مسبوك من الهواء. مزمار يلهمنا اليأس لا الحياة. هل يمكنك أن تخبرني ما معنى هذا الهراء؟

الأول: حسناً. سمِّه هراءً. يمكنك أن تعلق كاميرا فوتوغرافية كقلادة. وتطوف بها بغداد مثل عجوز نحيل حول الكعبة. وأن تدّعي أنّك تلتقط الكلمات. تلتقطها بالأسود والأبيض. فنّ الفوتوغراف: هو فن منحطّ. خدعة فنية كسولة.

الثاني: قرأت أيضاً عن التقاط عظام الموتى بأعواد الطعام اليابانية. كل التقاط هو فنّ. سمكة من نهر، فكرة من بئر، طير من السماء أو جرح من الذاكرة. فنّ الالتقاط هو الذي يحدد النبرة فيما بعد. وهي طقوس يجب أن تحترم أثناء ممارستها. مثلاً في يوم الجنازة اليابانية البوذية تحرق الجثة. بعد ذلك يتناول المجتمعون وجبة طعام أولى عند المحرقة. يتمّ فصل العظام عن الرماد ثم يلتقطها الضيوف بأعواد الطعام ويمرر كل شخص عظماً إلى الآخر. لهذا يكون من الشؤم وهي عادة غير محببة إلى نفس الياباني، حين تضع أعواد الطعام في الرز على المائدة لأنّها مرتبطة بتقاليد الجنازات. يجب أن توضع الأعواد، عادة، قرب الأطباق، وليس داخلها. التقاط العظام هو فنّ الدهشة والحزن في آنٍ واحد. بعدها تستكمل الطقوس من قبل الكهنة. ويتمّ دفن الرماد في الجرّة بعد مرور 35 يوماً على الحرق.

الأول: هل تذكر قرية التين الأسود؟ انظرْ إلى روعة الشجرة. أوراقها. هذه الكلمات الخريفية. أؤكد لك أنّ المعلومة لا تفهم أو تحفظ، إنما تحسّ. ويمكنك قراءة بحث علمي عن الحشرات مثل قراءة نشيد عن الحب. أرجوك لا تشعر

بالملل حين أعيد عليك ما تعلمناه في المدرسة: تسمى الأوراق بمصانع الغذاء في الطبيعة. الماء يصل من الجذور ويأتي إليها ثاني أوكسيد الكاربون من الهواء. هل تشعر! ثم يأتي دور ضوء الشمس. وهنا تتمكن الورقة من تحويل الكربون (أرجوك فكّر في ذلك جيداً!) إلى نوع من أنواع السكر. ألا يحدث هذا مع ورقة الكتابة حين يجلس واحد مثل كافكا إلى الطاولة! الفرق الوحيد أنّ الأخير ينتج سكراً مسموماً. العملية برمّتها جذور وكاربون من الهواء وضوء. أليست هذه أدوات كل قصيدة. وتسمى هذه العملية بالبناء الضوئي. بعد ذلك يقل الضوء وتزداد برودة ليالي الخريف فتتوقف هذه المصانع أو بالأحرى ترتاح لتبدأ بكتابة الصور البرتقالية. كل ما تتحدث عنه خراء ومضيعة وقت. أقرأ قصة (مسموم بالغذاء الأرضي) للشاعر الليتواني (سيغيتاس). ترجمها صديقنا عدنان المبارك. لقد تسمم الرجل في قصته من ثمار الوحدة الطازجة. كان يتسكع على أرصفة الخواء في يوم صغير من أيّام حياته. ثم ماذا حصل لموضوع السموم الكاوية. هل اشتريت النوع الذي اتفقنا عليه؟

يتجادلان وهما يدخنان أعقاب السكائر المتبقية من ليلة أمس.

من الممكن بالطبع وصف **الأول** بأنّه كاتب فنتازي، بينما **الثاني** هو كاتب واقعي. وربما العكس. لكن مثل هذا الوصف ساذج جدّاً، لأنّ الحدود بين الفنتازيا والواقع هي ليست بهذه الصرامة. استخدم كلمة كاتب بدل شاعر أو روائي، لأنّ كلاهما يحاول أن يكتب في شتى أصناف الكتابة، وكما لاحظتم هما يستخدمان الشذرة أيضاً كوسيلة تعبير. ويحلمان أيضاً بالسينما. على كل حال ما أردت قوله، إن الفارق الذي يمكن ملاحظته بين أسلوب **الأول** عن أسلوب **الثاني** يتعلق فقط بطرق استخدام اللغة وتوظيف المفردات. لتوضيح ذلك، يمكننا أن نورد هذا المثال: قبل أسبوع جلس **الأول** في الحديقة العامة في محاولة منه للبدء بكتابة ما. بينما كان **الثاني** ينتظر في البيت. كتب **الأول** في بداية الصفحة:

صمت نباتي! بينما تحرك **الثاني** في الغرفة ووقف قبالة النافذة، ثم دخل إلى المطبخ وهو يفكر: صمت خرائي.

الأول يريد أن يسمع صوت المجهول من خلال إعادة ترتيب الكلمات. **الثاني** يريد أن يغرق في الزمن من خلال شد قدميه بالكلمات القذرة. بالتعابير الثقيلة، المنحطة، السادية، الصادمة. بينما **الأول** يعشق الكلمات التي يفوح منها عطر الأسرار. أمّا **الثاني** فهو يظن أنّ كل سرّ: يفرخ مخاوف جرثومية. والدواء الوحيد هو طلاء الحاضر بالخراء، وتعتيم زجاج نوافذ الروح، مثلما يعتم الجنود في الجبهة زجاج نوافذ سياراتهم العسكرية بالوحل. **الأول** بقلب وحبر. **الثاني** بدماغ وسم. لكن هذا لا يمنع من أنّهما كانا يتبادلان الأقنعة بين الحين والآخر. فالشك هو القميص الضيق والوحيد الذي يناسب كلّاً من **الأول** و**الثاني** ليل نهار.

الأول: هل عثرت على الآية؟

الثاني: لمَ لا أقرأ لك من سورة النساء...

الأول: لا مرة أخرى حبيبي، غنِّ الآن لي...

الثاني: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والحشرات والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾.

الأول: اللّه، صوتك جميل... كم أحب اللّه حين يكون صادقاً ومخلصاً.

الثاني: لكن هل تعتقد أنّه يظن أنّ هذه البلاد مرحاضه الشخصي؟!

الأول: اقرأ لي الآن من سورة العدم...

من كواليس نزاعات **الأول** ـ **والثاني**، التي نشبت في سنوات الحصار يمكن الوقوف قليلاً عند كلمة: واقعية. وهي إحدى الكلمات التي كادت أن تجهز على علاقتهما أو تسبب اختفاء أحدهم إلى الأبد. نحن نسمّي كل مفهوم ومكان

وحدث وإحساس وزمن وصورة بـ(كلمة) وذلك بسبب إصرار **الأول** على هذه التسمية. فهو يعتبر أنّ كل حائط وإبرة وزاوية ولحم ودخان وليل وغيمة وطير وطفل ومرض وحريق ووجع، مجرد كلمات. فكلمة كلمة هي الشرشف اللائق الوحيد الذي يمكن تركه ببرود فوق هذا البيانو العجوز الذي نسميه الوجود. وحده الموت ليس كلمة. الموت نهاية سينمائية.

لكن **الثاني** غاضب من الشعر. وهو يقوم منذ عام بجمع الكلمات القذرة الصريحة، ويحلم بكتابة واقعية، يطلع من عيونه نار وشرار.

رجعت الكهرباء!

طفت الكهرباء!

الأول: سأحكي لك هذه القصة على شرط أن تعمل لي عصير بصل.

الثاني: قصدك أن أدقّ مسمار فولاذي في طيزك!

الأول: في الحقيقة كان الناس في تلك السنوات يعيشون على الأرصفة. باعة وجياع، مصاصو دماء وتائهون. ذيول حياة مشروخة وكما حدث: سرعان ما تحولوا بفعل الحصار وسنوات الحروب والدهس الطويلة إلى مقاتلين أشداء. كانوا يستميتون من أجل الحصول على كل شيء. بعد أن خسروا كل شيء. أرادوا أن يتشبثوا جميعاً بقشة الخبز والدين. وحين يشح الخبز كما تعرف يظهر الأنبياء والشياطين في آنٍ واحد. في الحصار ازدهرت كل أصناف المحرمات وانتعشت الأحاسيس السرية بطريقة لا تصدق. الحصار كان حديقة شاسعة للبوح بالغرائز وإخراج المخالب والأنياب. عرس حيواني وكرنفال للعواء والتخبط. سلطات الغابة تركت للقطيع حرية الاقتتال فيما بينه. الحصار حرب أهلية بين ما خبرته الجموع من ماضٍ أهوج وبين حاضر لم تعرف له مفتاحاً. هائجةً اندفعت صوب الماء واللحم والخبز والهواء أنّى كان مصدره. وكانت سلطة الدكتاتور قد أطبقت

بكماشتها الذئبية على رقبة الحياة المحاصرة. أمّا مقاومة كل هذا لمن أراد أن يجد ثقباً أسود آخر كان الثقب الوحيد هو الرجوع إلى الآيات القرشية والتشبث بسيرة آل البيت، وهي فعلاً سيرة مناسبة لتلك السنوات حيث الصبر والرمل والتمر هو كل ما تبقى في صحراء اللّه، حاولوا استعادة نبيهم بأكثر من طريقة، لعله يحرر العبيد ويحلل لهم الموت والحياة. أمّا الأقلية فلجأت إلى كل أصناف العرق المحلي المغشوش ولم ينجُ منهم إلّا عدد قليل جدّاً. لم تتخيل الخنازير المتحدة حين جلست لتقرر الحصار أن البلاد ستساهم بنفسها بمضاعفة الحصار بيديها وبمساندة أقدام الدكتاتور. **الأول**: تجويع أيّ كلب في العالم يعني تحويله ببساطة إلى ذئب. **الثاني**: هل حقّاً أن خنازير المجتمع الدولي لم تتخيل ذلك!

هنا تفجر الخلاف بين **الأول** و**الثاني** من جديد. لقد طلب **الثاني** من رفيقه أن يكفّ عن تفسيراته المبالغ بها وأن يلجأ إلى ما يسميه: الواقعية المرة، والتي تصور **الثاني** حينها أنّها الطريقة الأنسب لاحتواء المشهد، بل يمكن من خلالها مهاجمة هذ المشهد وتقطيع أوصاله من دون رحمة. لكن **الأول** تمادى في سخريته الأزلية. طلب من **الثاني** أن لا يتوهم رغم أن المشهد قاسٍ إلى الحدّ الذي يمكن أن يتحول فيه كما ترى الشعراء إلى معممين والمعممين إلى شعراء. أو يمكن أن تعثر في سنوات الحصار على جربوع حائط في رحم زوجتك، أو طفل بأربع أرجل لكن من دون رأس. كان **الثاني** يردّ على **الأول**، بأنّه مجرد محتال يشوّه كل شيء. الطفل أصفر وشاحب من شدة الجوع. وزوجتي (المفترضة) صدأ رحمها من فرط الخيبة. في الحقيقة لم يكن يستعين بأصدقاء في هذا الجدل الأرعن، لأنّهما كانا يحافظان على أوهامهما من خلال عربة الهامش المتنقلة التي كانا يطوفان بها في دروب الواقع والمتخيل. عثرا على أقدام دجاجة وكيس معجون طماطم صغير.

الأول: يغطس فتغرق البحيرة فيه الصبي الذي أتاح للماء بياضه الحزين!!

هنا انفجرت شرايين **الثاني** من الغضب واتجه إلى زقاق ضيق كي يعدو بعيداً عن مخيلة **الأول** الشعرية والسطحية التي بدأت تستفزه إلى حدّ اللعنة.

طفت الكهرباء في الزقاق.

الأول: العائلة أولاً!

الثاني: العائلة خيمة فوق بركة. تختلف العوائل في البلاد من حيث طبيعة المياه الراكدة لكنها اختلافات غير ملحوظة. مشكلة كل بركة على سطح الأرض أن الضوء لا يدخلها بيسر وتتعرض لتقلبات مستمرة في درجات الحرارة. وتكون البرك ملجأ للعديد من الكائنات والأحياء المتناقضة. ويشكل السطح قمة نشاط أيّ بركة. السطح هو مصدر كل التفاصيل والعوالق النباتية والأغذية المجهرية. حملنا الموسوعات في حقائب جلدية وهجرنا العائلة. حين بدأت تقتات على جلد أحزاننا. دويدات خنافس الخشب يمكنها، مثلاً، أن تمضغ الخشب بسهولة. وهناك أنواع من الحشرات يمكنها شفط أكلها الطري مثل الدم وعصير النباتات. هناك ذباب الأشجار. يمكنه خرق ورق الشجر ومصّ رطوبته وحيويته من خلال ما تملكه الذبابة من شفة حادة مثل موسى جديد. بدأت حياتنا فعلياً بعد الخروج من البركة إلى وحل الشوارع. أمي لم يكن لها أنف وهي بلا رئة. فالحشرة تتنفس من خلال شبكة متشعبة تسمى (التراقي). وهذه بديل القصبات الهوائية والشرايين عند الإنسان السوي. مع ذلك، في أمي تكمن حركة شعرية صغيرة فيما يخص التنفس. فللحشرات التي تتكيف مع البرك طريقة شعرية في التنفس. بعوضة الماء مثلاً تصعد إلى السطح ومن هناك تحمل فقاعة من الهواء تلتصق بجسمها ثم تعود غاطسة لتتنفس الفقاعة أسفل السطح. وكان أبي يفرغ جنونه فيها، مرة في الرأس وأخرى في الرحم. في الحرب ينيكها بكل ما يملك من قوة وكأنّه يودّع فخذيها إلى الأبد. وفي السلم يضربها بنعاله البني اللون. غالباً ما يمسك بها من رأسها مثل مصارع يخنق خصمه. ويبدأ الضرب وهو يعدّ ضرباته

التي تزداد قوة مع ارتفاع عددها. مرة واحدة شاهدناه يضربها بطريقة مختلفة كان يستخدمها حين يقفل الباب عليها. راقبنا من ثقب الباب، يعرّيها ثم يجلد ثدييها بالنعال البلاستيكي المرن.

الأول: كل من الإنسان والحيوان تكون له طرق متقاربة في الدفاع عن نفسه: إما في الهرب أو في الاختباء أو التوسل إلى حدّ هدر كل قطرة كبرياء (كبرياء: حشرة منقرضة) في الجسد. الحشرات لها طرق مقاربة. وبعضها عن طريق تغيير ألوانها والتكيف مع الألوان المحيطة بها.

الثاني: أمي كانت تستخدم الأسود الغامق على طول الخط. وكان صيدها أسهل مما تتصور بكثير. وأبي كان أصلع تمكن منه الشلل النصفي أولاً. وبعد شهور السكتة الدماغية، سكت وسكتت معه فصول طويلة من العنف وبدأ فصل آخر تحول فيه الجميع إلى أبي بأشكال وهيئات متعددة. وكان العنف يتضاعف وسقف البيت ينهار تدريجياً. إلّا أختي فهي احتمت بالجن. نحن احتمينا في نهاية المطاف بالقواميس والموسوعات.

الأول: أعرف ما أريد، هو الشفاء!

الثاني: لا أعرف ما أريد، هو المرض!

في السطح يكنس **الأول** الريش. بينما يمسك **الثاني** بخيط طيارة يسحبه ويرخيه كمن يمارس العادة السرية سلوموشن.

الأول: ما هي الشخصيات التي تتذكرها من فصل 32.

الثاني: فاضل زفر (أمه تبيع سمك الزوري الصغير في السوق).

الأول: علي سستر (أخته ممرضة في مستشفى الولادة).

الثاني: كاظم جنبر (يبيع السكائر على جنبر خشبي مع مطلع الحصار، وهو يعتبر من الرواد).

الأول: فاطمة سلستون (تعرفها).

الثاني: سلام سلوقي (نسبة إلى كلب السلوقي لتشابه الحركة، وهو شاعر شعبي ورفيق سعدي حربة).

الأول: حميد ترانسستور (تعرفه ولقبه قديم قبل سنوات الحصار، أخذه من جده مصلح الراديو والتلفزيون).

الثاني: سعاد قذيفة (تبيع الخضروات في السوق، لكن سبب اللقب هو جمالها الأخاذ الذي يشبهونه بالقذيفة).

الأول: حسن آرتين (أظن أن السبب واضح).

الثاني: عرفان جرية (صديقنا الشرطي. هو سنّي يعيش في حيّ شيعي... جرّية: هي السمكة المحرمة عند الشيعة وحدهم).

الأول: فارس يلك (معاق حرب فقد أطرافه الأربعة، يبيع حب عباد الشمس في رأس الزقاق).

الثاني: خالد العجل (نسبة إلى إشاعة تقول إنهم كانوا يربون العجول في القرية قبل أن ينكروا ذلك ويعيّن خالد مدير شعبة أمنية في العاصمة).

الأول: محمد كيكوز (رفيقي في سوق الشورجة أيّام تجارة الدواء، مختص ببيع علب حليب الكيكوز).

الثاني: زينب بطنج (فتحت شباك غرفة النوم التي تطل على الزقاق لبيع الباجلة. لمرات يمكنك أن تشاهد أولادها وجدّتهم نائمين في الغرفة عندما تشتري صحن باجلة مرشوش بالبطنج).

الأول: لؤي صالنصة (أبوه فيتر سيارات).

الثاني: خالد لهانة (لم نحصل على مصدر موثوق عن السبب).

الأول: باسم موطة (إشارة إلى أخته التي يقال إنها تلعق الزب مثل الموطة، وهي كانت عاهرة كريمة للأمانة).

الثاني: خضير تفكيك (لا ينتمي إلى المدرسة التفكيكية، بل هو من يفكك السيارات المسروقة في سوق الحرامية).

الأول: سلوى كاوبوي (طالبة مدرسة ثانوية. بسبب كثرة علاقتها مع شبان في محلات بيع الجينز).

الثاني: سيد جادر (وهو حفيد لمحمد العربي. لكثرة تردده على خيم العزاء لأكل ثواب الميت).

الأول: كس أمك!

الثاني: كس أختك!

الأول: طفت الكهرباء!

الثاني: رجعت الكهرباء!

الوسواس القهري. هكذا يسميه الطب النفسي. هو عبارة عن زيارات متواصلة لبعض الأفكار إلى ذهن المريض. وتكون كريهة لدى المصاب نفسه لكونها أفكاراً غير لائقة. مع هذا لا يمكنه الفكاك منها إلّا بالقيام ببعض ردود الأفعال المتكررة على أمل الخلاص من هذه الزيارات القهرية. لكنه يفشل في الخلاص ويدخل في حلقة مفرغة من الوساوس الشيطانية. **الأول** كان يكرر طوال الليل عملية التأكد من الصفحات التي كتبها. ما إن يندس في الفراش. حتى يبدأ: هل كتبت تلك الكلمة؟!

ينهض ويشعل الضوء. يتفقد الأوراق ويجد أن الكلمة مكتوبة. يعود إلى الفراش ويطفئ الضوء.

بعد قليل:

ـ لكن هل كتبتها في السطر المناسب!

يرفع البطانية. طفت الكهرباء! يشعل الفانوس. يقلّب أوراقه. الكلمة في السطر المناسب. يعود إلى الفراش:

ـ لكن هل كان السطر متيناً بما فيه الكفاية لإبراز الكلمة المقصودة!

البطانية. الفانوس. السطر. الكلمة بارزة تماماً.

إلى أن ينتهي به المطاف في العواء بعد منتصف الليل، وكان الحل الأخير للتخلص من هذا العذاب الذي يحدث مع كل مئة كلمة في ليلة واحدة. كانت وساوس المدينة أشد ضراوة حين أرادت التأكد من أن الشبابيك والأبواب قد أغلقت جيداً طوال الليل والنهار. كان هناك إحساس جمعي باختراق عنيف. اختراق غير محدد الملامح. حيوانات غير مرئية تتربص عند عتبة كل باب وأسفل كل شباك. إحساس عريض وشائك بالهزيمة وريبة تدب مثل جرذان الطاعون في مدينة مريضة تحتضر!

أمّا الثاني فهو مولع في لعبة فقأ عيون الأبطال.

الأول: صباح الخير.

الثاني: هل تريد أن أقلي البيض لو أعمل كعكة ممتازة مال صراصير.

الأول: ليش تطلع عيونهم؟

الثاني: اسمع، أنا كنت أحب هذه الشخصية أكثر من اللازم. كانت لديه عيون ساعة، وبسبب أرقه يمكن تحديد الوقت من خلالها. مثل عيون القطط التي كان يستخدمها محاربو (النينجا) لقراءة الوقت الذي كانوا يحددونه من خلال الفتحة في عين القطة. عين القطة تكون مستديرة كاملة وغالباً ما تكون مفتوحة عند

الغسق والغروب. لكن اتساعها يقلّ متحولاً إلى شكل بيضوي من الساعة الثامنة صباحاً إلى الرابعة عصراً. ويضيق أكثر بين الضحى والظهر. وعندما تأزف الساعة الثانية عشرة تصبح ضيقة جدّاً. فعيون القطط حساسة جدّاً وهي تتغير باستمرار مع رحلة الشمس في السماء. وكان للشخصية عينان مثل عيون قطط النينجا. لكنه بدأ ينرفزني إذ أصبحت عيناه مخادعتين. يوماً وجدته في منتصف ظهيرة أحد الأيّام إلّا أن نظرته تشير إلى وقت الغروب. لهذا حسمت أمره. فقد كان من أهم وصايا النينجا: إن لم تتمكن من إنقاذ رفيقك فخذ حياته، الموت أهون عليه من الوقوع في فخ الأعداء.

الأول: حدثني عن النينجا وسأغسل اليوم لباسك الداخلي وأشتري لك كيلو من الجراد!!

الثاني: النينجا يدرسون كل أنواع الحشرات والنباتات التي من حولهم لتحديد أمكنة المياه. مثلاً إذا عثروا على سرب من النمل يعرفون أن الماء أصبح قريباً. ولو صادفتهم حشرة معينة عرفوا أن بركة غير صالحة للشرب قريبة. ومقاتل النينجا يحمل معه دائماً صندوقاً مليئاً بالصراصير. ومن خلال أصواتها يمكنه التقدم بهدوء من دون أن ينتبه إليه الأعداء ـ محاربو الساموراي. فهؤلاء يظنون أنّها ليست سوى مجموعة من الصراصير. الشيء المثير أنّهم كانوا يمتلكون حروفاً سرية خاصة بهم لا يمكن لأعدائهم قراءتها. إلّا أنّهم احتاطوا للأمر أكثر: حين يبعثون برسالة، يقسمونها إلى ثلاثة أجزاء، وكان يحملها ثلاثة سعاة بريد كل واحد ينطلق باتجاه. فإن قبض على واحد منهم تكون الرسالة غير مفهومة. وأنا أفكر بكتابة قصص قصيرة بهذه الطريقة. وأجمل ما يقوله محارب النينجا: ادرس الظلال جيداً ولتكن هادئاً مثل ظل.

يقفان أمام باب الصيدلية. اللعبة هو أن تضرط وفي الوقت نفسه تقول جمل شعرية كلاسيكية.

الأول: (ضرطة قصيرة لم تكفِ زمن إلقاء الجملة!) من يمشي وحده، يتعلم السخرية!

الثاني: (ضرطة امتدت إلى ما بعد الفكرة) نظيف مثل من لا يعرف الحب والأرق!

يدخلان الصيدلية. وفي يد كل واحد منهما غراب منزوعة أحشاؤه.

الأول: الأفلام السينمائية البكائية ليست اختلاقات مخيلات مريضة، بل هي نسخ مخففة وغبية عن حقيقة أمراض الواقع المأساوية. ما سيكتب عن البلاد من قصص وأفلام وروايات سيكون بالتأكيد مجرد احتيالات. حتى وإن كتبت بطريقة **الأول** الواقعية التي يطالب بها، ستكون حبوباً مسكنة لقيح الدماغ. تجميل خرافة ونزع مخالبها السامة.

الأول: هلووو... أنا أسمع ما تفكر به! هل تقصد أننا كنا بأمسّ الحاجة إلى كاميرات وثائقية لذلك الزمن. عدسات متماسكة الأعصاب تدوّن كل شبر ولحظة. عيون جوالة ترتدي أقنعة واقية. حدقات منزوعة الأحاسيس لالتقاط المدينة.

رجعت الكهرباء!

ينظران إلى شاشة التلفزيون، إلى اللحظة التي يغطي فيها الجندي الأمريكي وجه تمثال الدكتاتور في ساحة الفردوس بعلم الاحتلال، ثم ينزل الجندي العلم ويغطي وجه التمثال بعلم البلاد. وما إن يهوي التمثال تحت أقدام الجمهور:

الأول: احتلال

الثاني: تحرير

الأول: احتلال... احتلال

الثاني: تحرير... تحرير

ثم يطلبان البيرة مع البطاطا من مراسلة فضائية تبكي على جثة.

في الحديقة العامة قرد بالع حية وميت. **الأول** يكرز حبات عباد الشمس. بينما ينظف **الثاني** أذنيه بطرف سكين صغيرة. الدم يسيل...

الثاني: كل حديقة عامة هي طائر عملاق نائم وشرير. كنت أشعر بالحسد تجاه الحدائق العامة. لكنني أكتب اليوم: كل حديقة هي مدينة سرية لألعاب الصمت. عرفت أكثر من حديقة عامة أثناء رحلتي عبر مخيلة هذا العالم. وكلما كنت أصل إلى مدينة، أسأل عن موقع الحديقة قبل الاستفسار عن عناوين المطاعم الرخيصة. بعد الحديقة والمطاعم أريد أن أعرف الطريق إلى المستشفى.

الأول سكران صاير طينة ويتكلم بصعوبة وبطء:

ـ حسناً، غالباً ما تكون حدائق المدن الصغيرة هادئة نظيفة. بالطبع يعتمد هذا على نشاط البلدية هناك. في المدن الكبيرة تكون ولادة الحديقة العامة في الليل بعد ذهاب زوارها الذين هم حشرات النهار الفضولية والطارئة، فللحدائق مواطنوها من الحشرات. وهذه هي مواطنة من الدرجة الثانية بسبب الاختباء أو الهجرة في بعض الفصول. لكن الشجرة تعتبر أهم مواطن في كل مكان، هناك حشرات بشرية مقيمة في الحدائق: متشردون ومدمنون وعابرو سبيل. ويعتبر تاريخ الحديقة المدوّن عبر ذاكرة حشرة كحولية تأريخاً محرّفاً يحتوي على بعض الإثارة وحقائق كحولية أيضاً. عموماً تصمم الحدائق العامة من قبل مهندسين يتبعون فيها بعض القواعد المتعارف عليها ثم هناك بالطبع دور المخيلة والابتكار في حدائق أخرى.

يشعر **الثاني** بالملل فيغادر وهو يجرّ خلفه سبع قطط ميتة.

بينما يواصل **الأول** علس كلامه:

ـ مثلاً هناك ما يسمى بالتناظر الثنائي أي إن الهندسة تعتمد فيه على تكرار

وحدة التصميم من حوض الزهور والمصطبة والشجرة والنافورة. وهناك ما يعرف بالتناظر الشعاعي وتكون الحديقة فيه كأنّها خارجة من رحم واحد دائري أو بيضوي. ولمثل هذه الأنظمة التناظرية عيوب كثيرة. أولها افتقار الحديقة إلى عنصر الدهشة، فالمتفرج يرى كل شيء كمشهد واحد محروم من نعمة التفاصيل. والسبب قلة تنوع النباتات ـ النظام هنا يعمد إلى تكرار ما هو مزروع تماماً مثل كتاب أو مسرحية تتحدث عن الموت بطريقة الهندسة التناظرية. نحن لا نرى الشخصيات وهي تموت من فرط التفاصيل الحياتية. نحن أمام موت بعناوينه العريضة المملة. أمّا التصاميم الطبيعية فهي تلجأ إلى محاكاة الطبيعة من دون الأخذ بالشكل الهندسي المقرف. أبرز ما في هذه الحدائق: المشايات التي تكون ملتوية ومصممة على أساس فكرة عشوائية إلى حدّ ما. أروع ما في هذه المشايات أنّها لا تكشف للناظر عن نهايتها. إنها مثل لوحة مبهمة أو قطعة من الموسيقى توحي بألف اقتراح ومغزى لنهاية كل درب.

يعود **الثاني** ويسحل **الأول** إلى البيت، والذي يواصل علس كلامه:

بالطبع هناك حيل عديدة ضمن التصميم الطبيعي مثل عدم زرع الزهور في وسط الحديقة، بل يفاجئنا زرعها عند طرف الحديقة. كذلك هناك المصاطب المصنوعة من مواد أولية موجودة في الحديقة نفسها. كأن تكون المصطبة خليطاً من الحجر. أو من جذوع الأشجار نفسها التي نتأملها. تخيل أنّك تجلس على مصطبة هي من لحم المرأة التي تنظر إليها الآن وتشتهيها. وهناك التصميم المزدوج بين الطبيعي والمتناظر مثل روايات الكتّاب الذين عُلقوا بين أسلوبين. هناك الأسلوب الحر لكنه ليس مثل الشعر العربي الحر الذي هو عبارة عن أبواق وفرسان ينتظرون (فرسان: أمراض منقرضة)، بل يميل أسلوب هذه الحدائق الحرة إلى البساطة كأن تذهب وفي ذهنك حديقة عامة لكن سرعان ما تكتشف وأنت عند المدخل أنّها ليست حديقة عامة، بل مجرد صورة لحديقة. يمكننا الحديث

الآن عن التنافر اللوني والتوافق. التنافر جزء من لعبة هندسية لإحداث الدهشة. واللّه هو أكبر المجربين عموماً.

يتوقف أخيراً **الأول** عن الكلام بسبب نحلة في أذنه اليمنى، فيبدأ **الثاني** بعلس الكلام:

ـ الحديقة تكون الرافد الحقيقي للرغبة في البكاء وأنت تستعيد ذكرى الأشباح والحيوانات التي قرضت حياتك. هي مجرد عملية كيمائية صغيرة. اتحاد زفير النباتات بشهيق المرعوب. ولهذا يكون مجازفة استنشاق ما يخرج من المرعوب في حديقة عامة.

وصل رجل يرتدي بدلة رسمية ولديه كرش عظيم. راح الرجل يسأل عن كل شيء. غادر البلاد منذ أربعة عقود من الزمن. طاف بنا من خلال ذاكرته حول البلاد في الماضي، من ساحات المدينة وشوارعها إلى الفروع الصغيرة والأزقة والأكلات الشعبية وذكريات المقاهي إلى الأحاديث حول بريج الماء في المرحاض الوطني. قال إنه طوال سنوات غربته في بلاد الثلوج كان يحنّ إلى هذا البريج:

ـ هل تصدقون؟ طوال غربتي الشيء الوحيد الذي لم أعتد عليه هو مسح طيزي بورق التواليت!

أخبرنا أنّه كان يستخدم قنينة كوكا كولا كبريج رأسمالي. وكيف كانت تتشاجر زوجته الأجنبية معه بسبب عاداته الخرائية الكوكاكولية.

على كل حال، كان الرجل ودوداً للوهلة الأولى ويمكن سحب بعض النقود منه وقت الحاجة لولا أنّه ثرثار كبير. تسلق جيداً. ووصل إلى منصب طبيب في وزارة الصحة. كان يكتب في الماضي في صحف المعارضة التي تصدر في المنفى قبل أن يعود ويتسلق!

الأول: المتسلقات في العادة هي نباتات لا يمكن لسيقانها أن تنمو بطريقة رأسية. لذلك تتسلق عن طريق الالتفاف.

قال الرجل إنه أحب **الأول** كثيراً وهو معجب بسخرية **الثاني** التي تنتمي إلى الجيل الجديد. أخرج من جيبه زجاجة ويسكي صغيرة. وتحولت الأحاديث إلى لغة برقية تافهة عن بعض المعلومات والعجائب والأخبار التي تنشر للتسلية في صحيفة (الحياة حلوة بس نفهمها!). قال الرجل: هل تعرفون أن الحصان ليس له حاجب فوق العين...

ها ها ها ها...

الأول: هل تعلمون أن رائحة كس المرأة كانت تفوح من أشجار الجنة حين شرع الرب في خلط الدم بالطين بين فخذي آدم. (لم تكن معلومة **الأول** هذه مضحكة وحتى إنها مفتعلة بصورة غبية) لكن مع ذلك: هاها ها ها ها ها ها.

الثاني: لا، لا عن جدّ... هل تعرفون شيئاً عن نبتة التبغ التي ندخن؟

قال الرجل: أكيد إنها ملكة النباتات في العالم. ولو كنت رئيس منظمة الأمم المتحدة لضغطت على دول العالم لتكريمها سنويّاً من خلال تشييد التماثيل الذهبية لها. عقب **الثاني:** ولو كنت مدير الصحة العالمية لحشرت قضيباً حارّاً ومسموماً في كس أخت رئيس الأمم المتحدة. تلعثم الرجل عند سماعه رغبة **الثاني.** شعر بالحرج. لكنه بعد أن كرع من زجاجة الويسكي ضحك بافتعال ورفع الزجاجة نخب البلاد التي تتمزق!

الأول: مضغ نبتة التبغ أهون من صنع سيجارة منه. إضافة إلى النيكوتين، هم يخلطون بالتبغ موادّ أخرى لتساعد على الاشتعال مثل غاز أول أوكسيد الكربون والقطران وحبيبات الرماد، والأخطر هنا تلك المواد التي يسمونها (الألكيلية) فهي تحوي مواد سمّية عالية الجودة وتوجد في بعض أنواع الفطر السامة كوسيلة للدفاع الذاتي.

ترك الرجل المتسلق نصف ضحكة باردة للمجاملة. بعدها بقليل، أخذ يخيّم الشعور بالاختناق الذي إذا استمر سيتحول من دون شك إلى شعور غامض بالكراهية. وبدا أن حرارة التعارف قد خمدت. وهذا ما يحدث مع أناس تلتقي بهم لأسباب صدفة أو لأسباب تافهة. ثرثر الرجل، عن بطولاته الحزبية السابقة وثقافته واللغات التي درسها وأتقنها وعن إعجاب الغرب بذكائه ومقالاته التي كان يكتبها باللغتين العربية والإنكليزية. تركه **الثاني** يثرثر إلى أن باغته **الأول** بسؤال: هل تعرف يا صديقي أن الضفدع لا يقدر على التنفس إذا كان فمه مفتوحاً، أنت تملك قدرة عجيبة يا صديقي!

عند هذه النقطة، انتهت الجلسة بعد أن صار أكيداً أن سكاكين الحقد المتبادل قد شهرت، وبعد حوارات برقية محشوة بشتائم مغلفة واتهامات وتخوين حسب مقاييس أبناء الداخل والخارج. سقطت من السماء ثلاثة جرذان ميتة. جاء صبي نحيل وقطع بسكين ذيولها وتسلق شجرة وهو يصفّر لحناً إجرامياً. أغنية عن الانتقام القادم!

الثاني: لا يمكن بتاتاً تفسير سلوك الحشرة البشرية وردود فعلها الغرائبية. وكل من يملك القدرة على التفسير فهو مجرد قرد دجال وكس هايشة بارد.

قال الرجل قبل أن يغادر إنه بصدد فضح شركة تتلاعب في مركبات بعض الأدوية المخصصة لمعالجة الجرب والجذام الذي ما زال ينتشر في بعض مناطق العالم النائية. شرح لهما بإسهاب (حين يتحدث يسيل لعاب من زاوية فمه اليسرى) أصناف الأدوية المغشوشة عند الشركة.

راودت **الأول والثاني** أمنية سينمائية: نخرج مسدسينا ببرود وندخل فوهتهما في فم اللعاب هذا: طاااااق طااااااق طاااااق... مع ثلاثة تكبيرات. لكنهما جرّبا التسلية. جلس **الأول** على يمينه **والثاني** على شماله مثل ملائكة التدوين.

ثم راودتهما أفكار عن مرحلة الإذلال ورغباتها: أسرع طريقة في إذلال شخص ثرثار هو أن تشاركه ثرثرته لكن على شرط أن تكون بارعاً في الموضوع الذي بدأ هو الثرثرة به. ومناوراً وخبيثاً أيضاً. أي أن تتركه في نهاية المطاف يشعر بأنّه لا يملك غير الصفر فيما يتحدث عنه.

الثاني: ماذا لو كان أحدهم يثرثر عن مرض معزة؟!

الأول: لن أسامحك! نسيت قدرات المخيلة وتدعي أنّك كاتب هههههه طبعاً بالمخيلة يمكنك أن تحاجج برفسوراً في علوم الفضاء وتبتكر له نظريات عن دوران الكواكب وثقوب الكون السود.

كان الرجل المتسلق يريد التدليل على اطلاعه على جميع مركبات الأدوية، ولأنّه قرأ أكثر من موسوعة تهتم بالصيدلة رغم أن عمله في وزارة الصحة لا يتعدى الأمور الإدارية الصغيرة. أول الأمر حاولا تشتيت حديثه. فكر **الأول** بأن العملية أشبه بحز رقبة ثور هائج! سأله **الثاني**، فيما إذا كانت أمراض الجذام والجرب سارية المفعول في بعض أنحاء العالم.

ـ بالتأكيد، قال الرجل. ثم تركه **الأول** يتكهن حول الأماكن التي يتواجد فيها المرض. ثم جاءت انتقالة معلوماتية مفاجئة على لسان **الثاني**:

ـ هل تعرف شجرة صحراوية يستفاد منها بصورة أفضل من الأدوية المعملية. تخلص الرجل من السؤال بالقول إنه لا يؤمن بطب الأعشاب. اخترع **الثاني**، أي استخدم **الأول** مخيلته، اسم دواء عالمي مصنع من هذه الشجرة: (عيرسيوم). استخدم الأربعة أحرف الأخيرة من كلمة (بوتاسيوم) وكلمة (عير).

قال إنه لم يسمع به. انتظر الرجل أن يكمل **الأول** الكلام. لكن **الثاني** بدأ بالحديث عن شجرة الجذام:

ـ تكون الشجرة الصحراوية دائمة الخضرة وطولها يتراوح بين متر وخمسة

أمتار. الأوراق بيضوية الشكل. قاعدة كل ورقة ذات ملمس شمعي. أزهارها بنفسجية اللون، نجمية الشكل. (كان وكأنّه يحكي حزورة). الثمار قاربية الطلعة. بذورها بيضاء قبل النضج. بنية بعد النضج. هي شجرة سامة. عصير لبن الشجرة فيه أنزيم يفيد في علاج الجذام والجرب. أوراقها تخلط مع الملح. هي مرهم للأعصاب. دخان الأوراق لطرد الحشرات.

الأول: أمّا جذام الدماغ الفاسد فهو بحاجة إلى أقرب محرقة.

طفت الكهرباء!

الحديقة العامة ليل.

كان **الأول** يحفر و**الثاني** يدخن. ثم رفس **الأول** الرجل ودفنه **الثاني**.

الأول: لماذا أنت في غيبوبة؟

الثاني: قرأت عن شجرة البيلسان طوال ثلاثة أيّام ثم وجدت أنّهم يخرجون من سيقانها بعد تجريحها عصارة تدعى (المر)، وأن ابن سينا كان يعتبر(المر) من أعظم الأدوية. فهو يمنع تعفن الميت ويحافظ على الجثة من التغير والتعفن.

رجعت الكهرباء!

الأول يتأمل ضفة النهر. **الثاني** يسبح.

الأول: هل ترى الرضيع في السلة؟!

الثاني: أين هي؟

الأول: في النهر.

الثاني: أيّ نهر؟

الأول: تيامت...

الثاني: كان البابليون يحتفلون كل سنة بطريقة رمزية بفشل إله المياه المالحة (تيامت)، فقد كان مصدر الموت والشرور والأمراض. أمّا إله المياه العذبة (أبسو) والذي هو أب إله الطب الأعلى نفسه (أيا) فقد كانوا يحتفلون ويرقصون من أجله وتحت قدميه يتركون القبل وأوراق الزهور.

الأول: لكن الرضيع في السلة هل تراه الآن؟

الثاني: أين؟

الأول: في النهر.

الثاني: أيّ نهر؟

الأول: تيامت...

الثاني: ولمَ لا يكون أبسو؟

الأول: مستحيل أن يكون قد خرج من رحم أبسو. لقد قتل وأحرق كل شيء من أجل أن يخمد أرق حبه الهائل لخبايا الوجود.

الثاني: لكنك تخلط بين موسى العبراني وبين سرجون الأكدي.

الأول: لا يهمني أن يكون هو موسى أو سرجون أو سعاد قذيفة. هناك طفل رضيع في السلة. السلة في النهر. النهر في زجاجة. الزجاجة في الزمن. الزمن قلب اللّه الآسن. الرضيع ابنه المريض. لا تنتشلوه. اتركوه يغرق.

الثاني: ههههه نكتة بايخة سخيفة!

في الطريق إلى المصح...

حصان داست فوق رأسه شاحنة النفط. **الثاني** كان يراقب وهو يأكل جزرة. **الأول** كان يتخيل سائق الشاحنة وهو يهوي بشاحنته إلى النهر. طبعاً بعد أن داس الأخ الحصان وسقط من الجسر.

قالت الممرضة: إنه ظل يصرخ طوال الليل وهو يضرب السرير بعنف. حاولنا تهدئته بكل طريقة ممكنة. لكن لم يكن بإمكاننا فعل شيء، سوى أن نربطه ونحقنه.

ـ سأمزقك يا كلب. تخدعني يا جيفة. تحلم معي في الوقت نفسه وتدّعي أنّك كنت نائماً!!

وكان يصرخ ويشدد على جملة: تحلم معي وتدّعي أنّك كنت نائماً!!

أفاق **الرجل** الذي يدعي مرة أنّه **الأول** ومرة بأنّه **الثاني** في غرفته الوردية الجميلة. جلس على حافة السرير ينظر إلى الحقل الشاسع وإلى الطريق الترابي الذي يشق الحقل إلى نصفين متساويين في لوحة كبيرة علقت على جدار غرفته. كان يشعر بعطش شديد ويشعر بأنّه كان نائماً منذ أعوام. ظل يمشي في الطريق الترابي ربع ساعة متواصلة من دون أن يلتفت وكان بحاجة ماسة إلى قطرة دم أو ماء واحدة لا غير لرؤية الشمس التي تقف في أعلى الحقل ساطعة من دون أن ترسم في اللوحة. كان يشعر بها هناك، معلقة تدغدغ السنابل مكتفية بلذة أمومية شاهقة. نهض وارتدى روباً أخضر طويلاً فوق لباسه الداخلي وخرج إلى الممر بابتسامته التي بدت متجعدة قليلاً عما مضى لكنها احتفظت ببريق ولادتها الأولى. أراد أن ينادي على الممرضة لتجلب له المفتاح. لكنه واصل خطواته الثقيلة بصمت. مرّ بقربه عجوز نشيط كان مسرعاً إلى عمق الممر وبعد قليل عاد العجوز إلى الاتجاه المعاكس، وهو مرعوب من فكرة أن تهتز نظرته فيلتفت. كان العجوز يمشي وكأن أحدهم يسحبه بحبل متين من رموش عينيه.

وقف **الأول** و**الثاني** أمام باب غرفة الطبيب. كانت هناك ممرضتان يمزح معهما الطبيب. شمّ **الأول** روائح من في الغرفة من خلال فتحة الباب الذي لم يغلق جيداً. أراد أن يختار! كانت تفوح من مؤخرة الطبيب رائحة دخان تشبه

رائحة روث الأبقار المحترق. انتقل **الثاني** إلى رائحة حبات العرق التي كانت تتجمع كبيرة في شق مؤخرة الممرضة المسؤولة عن تقديم العلاج له. كانت امرأة مكتنزة ونشيطة. كانت تفوح منها رائحة مثيرة تشبه رائحة الكهوف. كانت تقول للطبيب إنها ناضلت من أجل طموحاتها الأخرى في الحياة مثل مزارع صبور. أمّا ثقب مؤخرة الممرضة النحيلة أكثر من اللازم كان تنز منه نداءات استغاثة متواصلة من مرضى ماتوا قبل سنوات. دفع **الأول** باب الغرفة بقدمه اليمنى مثل رجل مسحور. خيّم الصمت في الغرفة. ثم ابتسم الجميع في وجه **الثاني**.

سأله الطبيب عمّا يشعر به اليوم. وسألته الممرضة المكتنزة إن كان يحتاج الذهاب إلى الحمام. وافق على سؤال الممرضة بهزة خفيفة من رأسه من دون أن يتفوّه بكلمة. أخرجت الممرضة المفتاح من جيبها. لكن **الأول** أمسك بيد الممرضة النحيلة وكأنّه يمسك يد أخته الصغيرة. تشجع **الثاني** وأمسك باليد الأخرى.

منذ أن حل **الأول والثاني** ضيفين على هذا المكان النظيف والكريم في خدماته، خصص لهما حمام خاص حسب رغبتهما، بعد أن تسبب **الأول** بعدة مشاكل مع النزلاء الآخرين بسبب رفضه القاطع مشاركته الحمام، **والثاني** رفض أن يشم رائحته أيّ مخلوق على هذه الأرض. لهذا أمر الطبيب أن يخصص لهما حمام خاص، ويقفل بعد استخدام **الأول والثاني**، على شرط أن تكون الممرضة هي المسؤولة عن فتحه وغلقه، فالطبيب لم يشأ أن يترك المفتاح بحوزتهما.

أحسّت الممرضة بأن يد **الأول** دافئة **والثاني** طرية. إنه طفل وليس رجلاً أول ورجلاً ثاني. انتظمت الآن خطواتها بحنان مع إيقاع خطواتهما الثقيلة وهي تحدثهما برقة عن ابنتها الكبيرة التي تخصصت في دراسة الأحياء أخيراً، وعن جمالها وذكائها. وكان الرجل ـ الذي يدّعي أنّه **الأول والثاني** ـ قد خسر اللحظة

حاسة السمع نهائيّاً ولم يكن بإمكانه سوى شمّ رائحتها الحيوانية المثيرة والقوية. فتحت له الباب. لكنه لم يدخل. سألته إن كان بحاجة إلى أن يقول لها شيئاً. دار **الأول والثاني** حول المرأة ثلاث مرات. كانت الممرضة تبتسم. سألته إن كان بحاجة لأن يقول لها أيّ شيء. في الدوران الثالث، شمّت رائحة **الأول** بهلع وحاولت أن تدفع **الثاني** عنها وهي تصرخ. لكن **الأول** أغلق الباب بالمفتاح **والثاني** فتح حنفية الماء.

يخرج **الأول** برازاً حلزونيّاً ويضرط **الثاني**، وهما يراقبان بحزن أمومي الوجه الإنساني الميت!

الأول: شلونك!

الثاني: أحسن منك!

طفت الكهرباء.

ظلام.



النفق والهذيان



النفق والهذيان

ـ على كل مواطن أن يكتب رواية ـ

يقولون: كن نفسك. بمعنى كن هذه الهلوسة. حسناً، هأنذا قد صرت قطعة واحدة فقط من مكعبات هرم نفسي الغامضة ومن دون حرج. إذن تحملوا الرائحة رجاء!

جاء في دستور سفينة نوح الجديدة أن على كل مواطن أن يؤلف كتاباً أو يحفر قبراً. أنت محظوظ، فقد تعلمت القراءة والكتابة في المدرسة من دون مشقة كبيرة. والآن في يدك فأس وزب حمار سادي. أنت عامل ورقي في مطبعة المدينة السرية. أنت قادر الآن على الدفاع عن النفس، وتكتب بطريقة حيوانية أصيلة. تبّاً للكتّاب ومؤلفاتهم الأدبية. تبّاً لكل من يريد الجلوس في صفوف الأدب العالمي. الكتابة هي من أجل المتعة والدفاع عن النفس لا غير. تبّاً لفئران كافكا، خراء على سحر واقعية ماركيز، وليطبخوا بدهون قصائد بودلير العدس للفقراء، أمّا تمثال السياب فليجرّوه بسيارة عسكرية مثلما جرّوا تمثال الدكتاتور في ساحة الفردوس...

ـ أستغفر الله ربي وأتوب إليه...

إنهم منافقون، يعيدون في كتبهم طباعة أغنية واحدة قديمة تتحدث عن الإنسان الذي حلم به. وهذا هو مجرد خنزير وابن زانية. إنهم طواويس الذكاء الوقحة. والدة أرنستو ساباتو كانت تقول إن الزمن هو المعلم، وهذا يكفي.

يجب أن تكتب أمي رواية تنافس فيها روايات الساحر المشعوذ باولو كويلو، فهذا دجال أعاد حكمة الكسل الديني إلى الرواية.

على الجميع أن يتبادلوا الكتب بدل تحية الصباح. على الجميع الكتابة في أوقات الفراغ والعمل أيضاً. أن تكتب حين تسحب بملقط، شعرة صغيرة من أنفك. وأنت سيدتي، حين تعدّين السلطة، احتفظي بكومة من الأوراق بالقرب من سكين المطبخ. وبعد تقطيع كل حبة طماطم، اكتبي سطرين. بعد شهر واحد من إعداد السلطة سيكون عندك كتاب جيب صغير. ويمكنك أن تساهمي في المكتبة البشرية وتعرّي الحقيقة الأدبية الباردة. سيدة مثلك اسمها إيزابيل الليندي تكره منظر الكتب الكثيرة اليوم في المكتبة، وتدرك أن المنافسة أصبحت خطيرة. هي خائفة على الكرسي الذي حصلت عليه في ماخور الأدب. اكتبي يا سيدتي كي نثبت لهم أن إنجاز كتاب هو محض إطلاق آهة جنسية. بعد كل مضاجعة، دوّني ملاحظتين. وبعد عامين سيكون عندك أشهر كتاب بعنوان: ملاحظات زوجة بعد ممارسة الجنس. أنا أدعو لفتح دورات مجانية في الباصات ودورات المياه وفي البيوت لتعليم الكتابة. كيف يمكنك أن تجمع كتاباً من مخلفات كل يوم. كتاباً مأخوذاً من سلة مهملات الزمن. سنرسل مندوبين مثل جماعة (شهود يهوه) إلى كل مكان، ومثلهم سنطبع مجلة بعنوان (استيقظ)، لتعليم الكتابة والصراخ. استيقظ أيّها الإنسان، استيقظ واكتب كتابك قبل فوات الأوان. ولكي تملك المراس اذهبْ إلى كورس لتعلم القتل. فهو أيضاً كتابة جريئة وقذرة. القتل وحده هو الكتب المنقوعة بإكسير الحياة. أنا أمزح. فإياك أن تقتل إلّا إذا دعت الضرورة. دوّنْ يومياتك عن المرحاض بشكل منتظم، وستكون لديك سلسلة كتب عنه وأكيد أنّها ستحقق الشهرة، أي لتكن ملاحظاتك ملاحظات قاتل غير نادم. ستجاور مجلداتك مجلدات المريض دوستويفسكي. تبّاً لهم، تبّاً لريلكه الرومانسي، وتبّاً لبورخيس العجوز، الأعمى الذي يلهو بالكلمات ويصنع

منها أحجية للضحك. أنت أيضاً ساحر وجميل. اجمعِ الصحف كلها، واكتب دراسة عن أحاسيسك حول أخبار الموت. استعن بالكمبيوتر، بمحركات البحث في شبكة النت، وقم بجمع كل ما قيل عن العلاقة بين الجنس والله. سيكون عندك كتاب إلى جوار كتبهم السميكة والحكيمة والفاسقة. سيكون لديك كتب مثل: الطريق والمحاكمة ومئة عام من العزلة وخفة الكائن التي لا تحتمل، وستكون عندك قصيدة بعنوان شمس في بنطال، ولمَ لا طالما أن هناك واحدة عنوانها غيمة في بنطال. ليكتب الحمقى والمتعبون والفاسقون. والخراء كله على جوائز الآداب. وخراء مضاعف على جوائز السلام. فليكتب المنحوسون ولتكتب عاهرات الفنادق الرخيصة. ليكتب العجوز رواية عن التجاعيد. وليكتب المحكومون بالإعدام مقالات عن الأمل.

عندنا في البلاد، يطالبون بأن يتحول الدم الذي يسيل إلى روايات واقعية عالمية. فلربما الدم وحده مادة روائية محلية وتجريبية. سينطلقون قريباً من محلية الدم إلى النجوم. ستكون كل طاسة دم حبراً لصفحة من رواياتهم العالمية. المثير للسخرية أنّهم يتحدثون أكثر مما يعملون. يرفعون شعار: بالدم والحزن والواقع وحده تكتب الروايات العالمية العظيمة. في حين إن الروايات يمكن أن تكتب بالخراء وكوابيس السلام أيضاً.

على كل مواطن أن يكتب رواية، وعلى الجميع أن يصرخوا وأينما كانوا: أنتم أغبياء وسفلة...

أخرجْ رأسك من سيارتك واصرخ: أنتم أغبياء وسفلة. يجب ممارسة هذه الرياضة بطريقة جماعية في ساعة مبكرة من الصباح. تقف المعلمة في الصف وتصرخ: أنتم أغبياء وسفلة. يردّ الأولاد: أنت سافلة وغبية. بائع الفاكهة في الساحة يصيح: أنتم أغبياء وسفلة. النادلة في المقهى تصرخ، والزبائن يصيحون. الجميع يصرخ سوية في كل مكان وفي كل زاوية: أنتم أغبياء

وسفلة، إلى أن تصعد الأصوات البشرية سوية مثل غيمة القنبلة النووية، ببطء تصعد الأصوات إلى السماء، ومن ثم تمطر أصواتاً نارية: أغبياء وسفلة... أغبياء وسفلة... أغبياء وسفلة...

أغبياء وسفلة. هي تصلح عنواناً لكتابك القادم. كتاب يتحدث عن الحب مثلاً وعن سفالة الإنسان. ننصح باختيار العناوين القذرة والمباشرة والابتعاد عن العناوين الشاعرية. لأنّنا لسنا شعراء، ولسنا أدباء نتبختر ونلطم على مأزق الوجود. نحن مجرد مواطنين يريدون أن يكتبوا. مواطنين ضجرين، نتدرب على الكتابة والقتل. بمكنتنا أن نبدع كتاباً بكل الوسائل والطرق من دون أن نكون أدباء في سوق الكتب. نحن نطبع الكتب على ورق رديء، وبإمكانياتنا المحدودة. نحن مواطنون نكتب في المدوّنات المجانية على شبكة النت عن كل شيء من دون مراعاة قواعد اللغة ومشاعرها. نحن مواطنون مجانين، لا نحتاج إلّا إلى أصدقاء قلة لقراءة كتبنا. وإذا أعجبهم ما نكتبه، فليطبعوا هم ملايين النسخ، وليصفوا كتبنا إلى جانب روايات فوكنر وتولستوي وحتى أغاثا كريستي.

لا تقلقوا، ليس هناك حقائق أو مهام نبيلة للكتابة، فهذا محض هراء. الحقيقة الوحيدة هي أننا نولد ونموت، وبين هذين القوسين يحدث ما يحدث، نحن مواطنون سيئون نريد أن نتعلم الكتابة من دون معلم، وأن تكون لدينا مجاميع شعرية وروايات ودراسات في المكتبات العامة. وكل ما نحتاجه هو المزيد من أصناف المخدرات والحبوب المهلوسة والكحول والقتلة وحبر الضحايا الأحمر...

يبدو أن الإنسان قد سبّب للأرض صداعاً شديداً. وها هي درجة حرارتها ترتفع في كل ثانية. هم يخشون أن تتقيأ قريباً بصورة جنونية. نحن بحاجة إلى عودة آلهة الأساطير. وأن نقدم القرابين والنذور للريح والنار. هذه مادة دسمة أخرى لروايات هذا القرن. استعدّوا!

حاجتنا الوحيدة هي إلى الورق. ورق الكتابة، ورق التواليت، ورق الأشجار،

ورق الكمبيوتر المفترض، الجلود ـ الورق، الطين، الحجر الذي حفر فيه الأقدمون. أنا مغرم بكل أنواع الورق. بمقدوري السجود لحيوان من ورق، أن أبيع أهلي في سوق العبيد مقابل رزمة من الورق.

حين ينفد ورق التواليت جفف كس حبيبتك بجبينك. اكتب فصلاً عن هذا الموضوع. أن يكون لديك غرفة وباب يقفل وامرأة طويلة تحب أن تضاجَع أربع مرات كل ساعة، وفكرةٌ لم تتبلور بعد على الورق، أن تكون رجلاً مسكيناً أراد أن يكتب قصيدة خاسرة. عليك الإسراع بتلطيخ الورق من كل ما يقطر حواليك. وكل ما تحتاجه الآن ورقة وفكرة متواضعة وليس المزيد من المخيلة. ومثل برغوث ياباني متشبث بفكرة الجمال نطّ والتصق بالورقة. مثل رجل عارٍ يجلس تحت امرأة نائمة يزهر عريها بثوراً وأوراقاً وعصافير ميتة. هل أخذت حبيبتك تشخر، هل تنام على بطنها. القلم بين أصابعك. الورقة نظيفة وتفتح ساقيها بحب وتواضع. أنت تحتسي تحت ظلال شجرة الدم الأنثوي! ومن ثم تكتب عن امرأة من لحم ودم:

عند الكتف توجد شامة كبيرة، بشعة. لونها لون ظفر محروق. حولها تناثرت شامات أخرى صغيرة. واحدة متوسطة، حجمها بين الكبيرة والصغيرة. شكلها أقرب إلى النجمة، لونها قهوائي هادئ. لو أزحنا الشعر الذي يغطي الجزء الآخر من الكتف، سنعثر على سرب من الانتفاخات الحمر. اشترت المرأة من الصيدلية دواءً لا نفع منه. مهلاً، لا داعي للعجلة والانتقال إلى مؤخرتها. ما زال الطريق طويلاً إلى هناك. تحت الكتف كل شيء هادئ مثل سماء صافية. منطقة وردية تتنفس فيها الحياة الآن. عند الخصر في انبعاج الظهر يوجد حقل من الزغب الأصفر تزداد كثافته بنعومة صوب خط العمود الفقري، صوب الثقب الذي ينتظر وصولنا إليه. يمكن اصطياد بعض الشامات الصغيرة جدّاً في حقل الزغب. لكن بدل ذلك دعني أجرب لك رائحة هذا الحقل. قرّبت أنفي بحذر كوميدي من

ظهرها وأنا أستنشق اللحظة بعمق. ماذا تريد! أرجوك، لا تيأس! ستكون هناك روائح من تلك التي تتخيل. عند الزغب لا رائحة تذكر. لكن إن أحببت! رائحة مثل باطن كف طفلة جائعة. هل بقربك زجاجة ويسكي أو فودكا؟ نحن الآن نصعد من الانبعاج الذي يستريح فيه الزغب إلى بداية التلال. لحستُ هذه المنطقة مراراً كلما ركبتها مثل حصان. عند بداية التلال كل شيء ناعم الملمس. يمكن أن تدعو مجموعة طيبة من رجال الشرق للتزحلق والتسلية. اللحم المشدود هنا يستحق لمسه الآن بطرف الأصابع للتأكد من بهائه. أخشى أن تنقلب على ظهرها قبل أن نكمل السوح. ربما تحلم هي. تحركت حبيبتي ثم هدأت. ربما السبب لمسة أصابعي. في الشق زغب أسود. هو قليل جدّاً لكنه ضروري مثل غيمة يتيمة في السماء. التلال مكتنزة. ولو صفعناها لارتجّت بطيئة مثل موجة مرسومة في لوحة. يمكنك أن تضع خدك الأيسر هنا كي تحس بقيمة العالم. هو مكان مخصص أيضاً للنزهة بعد منتصف الليل، تماماً مثل نزهتي الآن. كما أنّه سجادة لأداء صلاة الفراغ وغار للتأمل وكتابة الآيات الوقحة. في الشق. جرّب أنت! رائحة مسحوق العرق مع الكثير من الرمل المطحون. الثقب هو ما يضيء في هذا المخبأ كما لو أنّه نصف خوخة مقسومة بكل دقة. انظر إليّ. أنا أترك القلم والورقة. أتمدد بالمقلوب فوق المرأة حبيبتي. يكون خدي الأيمن على وسادة الثقب. تتأوه هي: أوه حبيبي. هل نمت...

ـ لا حبيبتي نامي... أنا أحلم فقط.

أحلم بأنني أدخل في ثقب الخراء بكل جسدي. سأزحف إلى عتمة الرحم وأعثر على المزيد من الورق. سأكمل الكتابة وصولاً إلى العنق من داخل الأحشاء. سأخرج في الصباح متزحلقاً على لسانها حين تنقلب فوق ظهرها. سنزحف من أصابع قدميها إلى أنفها الجميل. لنلصقْ على الورق بعض ما يستحق وما يمكن تدوينه ساعة الانشطار بضربة قاضية من الفراغ الذي يخلفه جسدان يسكبان

صمغ روحيهما الأبيض. وهذا كل ما عليك أن تفعله مع الورق إن كنت تنتمي بالوراثة إلى موسوعة الطقوس اليابانية الكوميدية أكثر من الشعر. ثق بأن الورق يستحق أسوأ من ذلك بكثير. أرجو أن لا تتورط في كتابة نهاية دينية لطيفة للتأريخ، وأن تقدّر قيمة الورق.

يمكنك أن تكتب عن كل شيء وعن اللاشيء. يمكنك أن تكتب بطريقة القوّاد في اصطياد الزبائن. ويمكنك أن تغوي الآخرين مثل رجل دين مدرَّب على التبشير. يمكنك أن تترك أثراً على الورقة مثل أثر أقدام الطيور عليها، ويمكنك أيضاً أن تترك أثر قذيفة مدفع تسقط مباشرة على رأس جندي في مطلع الشباب. كل شيء مسموح به. فالكتابة هي الأرض الوحيدة التي يمكن فيها صنع الأحلام وتحقيق جميع أمنيات الانتقام من دون حدود. ليس هناك من شرط للهذيان ولا قانون واحد للحب.

رواية أخرى:

كانت هناك جائزة إلهية ثمينة لمن يفسر الإنسان

جلسنا نكتب ليل نهار

صار عندنا أولاد ومكتبات وأزمان ومقابر

لكن أحدهم جاء وقال إن اللّه والجائزة مجرد خدعة

عدنا إلى الغابة وقررنا القتال حتى الموت

يعود الفضل في تأسيس جمعية الدفاع عن المنحوسين لتلك المقاطع من تقرير سفينة نوح الذي كتبه رجل مريض. أمّا نحن أعضاء الجمعية، فلسنا سوى مواطنين اجتمعوا من أجل تأليف الكتب حسب وصايا الرجل. بالرغم من انحراف الأهداف الأولى لجمعيتنا عن مسارها، بسبب كتّاب انضموا إلى الجمعية وصارت

لهم فيها سطوة ونفوذ. لقد أعادوا للكتابة مرة أخرى نبرات الأدب المملة. إنهم يلقون الخطب عن المعايير الذهبية للأدب. أمّا متى بدأ مرض الرجل الخرائي، فهذا المأزق قد تفاقم بعد زيارته إلى دكان بيع الكتب في سنوات الحصار الاقتصادي. في تلك السنوات تفشّت الهلوسة وتفاقم الرعب. أخبرني الرجل المريض بأنّه بحث عن رواية أرنستو ساباتو (النفق) حين عزم على كتابة تقرير سفينة نوح. وهذه قصة بحثه عن (النفق):

دخل الرجل عند الظهر في أحد أيّام شهر آب إلى دكان صغير في شارع المتنبي. كانت الكتب قد صفّت عمودياً وبدت مثل ناطحات سحاب صغيرة من الأفكار والرؤى والحماقات والدجل والشعر. وفكرت: كيف هو سحب كتاب من ناطحات مكونة من خليط من الكتب غير المصنفة. كان صاحب الدكان يراقب الرجل بطرف عينيه متظاهراً بتدقيق الحسابات في سجل ضخم على الطاولة. مرر الرجل أصبعه على عناوين كتب إحدى الناطحات: تعلم الفرنسية من دون معلم، السماد الحيواني، القومية العربية، أفضل عشر قصائد غزل من الشعر الجاهلي، موسوعة الأمراض النفسية، محاولات اغتيال الرئيس، السيّاب، قصص من الحرب، هارون الرشيد، اللامنتمي، تأريخ العراق المعاصر، البنيوية، الأمير، طرق مكافحة البعوض، سيرة النبي، هاملت، أشعار عبود الكرخي، ابن سينا، البتروكيماويات، فهم السينما، الإمبريالية، في انتظار غودو...

رفع الرجل أصبعه عن العناوين وسأل:

ـ المعذرة، أبحثُ عن النفق، أرنستو ساباتو

ـ أعتقد... أمممم، ربما لديَّ آخر نسخة...

اقترب صاحب الدكان من ناطحة مجاورة لتلك التي بحث فيها الرجل، ثم مرر أصبعه على العناوين من أعلى إلى أسفل، قرأ بسرعة: الجريمة والعقاب، سيرة

الخلفاء الراشدين، المملكة السوداء، محركات السيارات، ميشيل عفلق، موت في البندقية، المقامات العراقية، المسيح يصلب من جديد، المسخ، رياض الصالحين، المسرح الملحمي، النفق...

وسحب (النفق) بسرعة من دون أن تنهار أو تهتز البناية. وضع الكتاب في يد الرجل وهو يقول:

ـ إنها النسخة الأخيرة.

قلّب الرجل صفحات الكتاب ثم بحث عن سعر الكتاب على الغلاف.

ـ ألف وخمسمية دينار.

ـ هل هذا آخر سعر، أم...

ـ إنه سعر نهائي.

ـ شكراً. سأبحث عن (الجريمة والعقاب).

أثناءها دخل زبون آخر.

ـ أظن أن جرائم دوستوفسكي هناك. أشار صاحب الدكان إلى بناية غير عالية.

عندما كان البائع يتحدث مع زبونه الجديد، رفع الرجل قميصه بسرعة خاطفة وحشر (النفق) وراء حزام بنطاله. ثم تظاهر بأنّه يبحث عن (الجريمة والعقاب). كان للزبون مظهر طالب جامعي مريض، قميصه أبيض، ويتعرق بغزارة، ويتلفّت مثل المطارد يميناً وشمالاً.

ـ النفق ـ قال صاحب الدكان ـ أعتقد... أممم... ربما لديَّ آخر نسخة.

جمد الدم في عروق الرجل، وهو يتطلع إلى البائع الذي أخذ يبحث من جديد في تلك البناية. يا ربّ القرود الأحول! إذن ستكشف سرقته من دون شك.

أخذ البائع يبحث عن النفق وفق تلك الطريقة. كان قلب الرجل يخفق بجنون. كما استغرب من أن البائع نسي بهذه السرعة مكان الكتاب. لكن الغريب والمفزع قليلاً أن البائع أخذ يقرأ بسرعة أيضاً عناوين أخرى: كل شيء عن النحل، نهج البلاغة، الحرب والسلام، أنغمار بيرغمان، أدب قادسية صدام، الموسيقى العربية، الغثيان، أنطون تشيخوف، الأعشاب الطبية، أوديب ملكاً، ميشيل عفلق، النفق...

سحب (النفق) بتلك السرعة وأعطاه للشاب:

ـ إنها النسخة الأخيرة المتبقية في الدكان...

قفز قلب الرجل حين رأى (النفق) بيد الشاب. بائع محتال! يتظاهر بأنّها النسخة الأخيرة من الكتب.

التفت صاحب الدكان إلى الرجل: هل عثرت على الجريمة؟

ارتبك الرجل:

ـ لا شكراً... سأعود غداً... شكراً لك على المساعدة. حين همّ الرجل مرتبكاً بالخروج من الباب زاحمه عند الباب رجل بدين بحجم الفيل يمسح جبينه بمنديل بني اللون، ويلعن (أبو الشمس) العراقية:

سمع الفيل يسأل البائع:

ـ النفق...

وتكرر المشهد، إلّا أن البائع أخذ يقرأ عناوين أخرى هذه المرة أيضاً: ألف ليلة وليلة، السينما التسجيلية، متاهة الوحدة، الشيخ والبحر، في سبيل البعث، ناظم الغزالي، الحركة الصهيونية، الإمتاع والمؤانسة، فان غوغ، الثروة الحيوانية في الوطن العربي، الباب الضيق، النفق.

ثم سحب النفق ووضعه بيد الفيل. كرّر ما قاله قبلها:

ـ إنها النسخة الأخيرة المتبقية في الدكان.

التفت صاحب الدكان ببطء كما في الأفلام السينمائية إلى الرجل المدهوش الذي ما زال واقفاً عند الباب. ابتسم وهو يكشف عن أسنان بشعة هدمت بفعل ريح شريرة. غادر الرجل المكان وهو يشعر بالحنق.

أمّا التقرير عن سفينة نوح فما زال الرجل يحاول إكمال كتابته مع أن الهذيان يحاصر آخر زاوية تعمل بالمنطق في دماغه. ولولا الخجل من القراء لنسخت لكم الفصل الأول من التقرير. لكنه في الحقيقة مثير للتقزز. على سبيل المثال، إليكم هذا الهامش القصير من هوامش الفصل الأول فقط:

اسمحوا لي أن أمدّ أصبعي للمرة الأخيرة في زرف الخراء وأخطّ لوحتي، ولن يعنيني بصاقكم ونعتكم لي بالتفاهة، لا تعنيني شتيمة (الخنزير القحبة). أنتم عاجزون عن أن تكونوا أكثر طهارة. أمّا أنا فلا أريد سوى رسم ما أشتهي: خطّاً من الخراء لا غير ـ على كل الطاولات والأسرّة والملاعق والمناشف والسقوف. خط خراء على شواهد قبوركم وقبلها على خبزكم. خط خراء سميك على قتلاكم وأنبيائكم. على غلاف كتابكم المقدس، وخط خراء أسود على قلب المسيح. على حروبكم وسلامكم. وخط خراء متعرج على أرحام زوجاتكم. فوق طمأنينتكم وصفحات تاريخكم. خط خراء مستقيم على خط الزمن الأعوج. فوق أشرعة المراكب وفوق ساعة الغروب. فوق قمصانكم وعلى جلودكم. خط خراء دائري على رقبة القمر. مثلث على رقبة العائلة. وفوق أغلفة الكتب خط خراء بحجم المجرة، على عذابات الأحياء وابتسامات الموتى. هكذا يمكن الحصول على كتب سميكة عن الخراء. الرائحة مصدر طيّب للسعادة. الرائحة هي أصل الإنسان. الإنسان

خلق من رائحة عبثية كان الشيطان في الجنة الأولى يرشها في إبطيه قبل مضاجعة شجرة التفاح...

ـ أنا آسف جدّاً على هذا الهراء... حاولت أن أكون نفسي، لكنني أخطأت ودخلت في بيت مظلم آخر...

انطباعات شخصية عن الشعوذة

لطالما تحسّرت في حياتي على إمكان الإمساك بإحساس المحتضر أثناء الكتابة. أن تكتب كأنّك ستموت ما إن تضع النقطة الأخيرة. لكن مثل هذا الإحساس لم يكن في متناول اليد وفي مثل هذه السهولة، فالحياة ندٌّ للموت، ولا يمكن أن تسمح لكائن لا يزال يتنفس ومهما تكن حدة يأسه، بالوصول إلى مثل هذه العتمة الخالصة. فلا بدّ لها ـ الحياة ـ من أن تترك برعماً صغيراً من الأمل في قلب الإنسان: أن تحول دون أن يتسوّس نهائيّاً. هي بكتيريا مضادة غير مرئية: بكتيريا الوهم. ثم تبددت فجأة من سماء حياتي هذه الأفكار الصغيرة عن الكتابة. ذات مساء شتوي بارد وأنا في طريقي إلى هجر السينما التي حاولتُ الكتابة من خلالها أيضاً لكن من دون حظ يُذكر، تعثرت بوحشة مرّة، كانت ملقاة على قارعة الطريق، ضحكت كثيراً ثم صمتُّ فجأة كعبقري مزيّف: الكتابة هي مجرد صالة متواضعة لممارسة الشعوذة، وليست ماكينة لصنع الحياة أيّها الأحمق! وهكذا، أعيش حياتي اليوم مثل من يحاول أن ينفخ روح زهرة في جسم ضفدع. ومن يدري بأيّ حفرة سأتعثر في صباح الغد. الدروب بالغة الغموض ومصابيحها محض خدعة مسرحية.

* * *

أن تكتب، يعني أن تخرج الإحساس إلى الهواء في حالته المسخ، وقبل أن يمرّ بالدماغ وقبل أن يصل إلى الورق. أن تخرج تلك الدودة من قلبك كما هي، طرية تفوح منها رائحة الدم الملوث، من دون خجل ومن دون أن تلبس الدودة

ربطة عنق أدبية. والأجدر أن تكتب في زمن السلم بهذه الطريقة أيضاً. هذا ما قلته لصديق يحب اللغة أكثر من الشعر. ومن قال له إن الشعر يكتب بالكلمات فحسب. الشعوذة هي علم الأحلام وليست فنّ الكلمة.

* * *

خراء... خراء... خراء... خراء...

الكل يريد أن يعرف لمَ ألطخ الورق كثيراً بهذه الكلمة المقززة. لقد أخبرتكم بأمر المرحاض ألف مرة. ماذا، هل أنا مصاب بإسهال، ألا يمكنني استبدال هذه الكلمة بكلمة أخرى تؤدي الغرض نفسه لكن برائحة مكتومة على الأقل؟ إليكم السرّ الذي لم يعد سرّاً، فقد كشفته لك ولهم في أكثر من مناسبة خرائية.

ـ ها إني أعودة إلى الرائحة القديمة...

قال لي مرة رجل عجوز مصاب بالبواسير: الواقع هو قوتنا يا بني، ولا تهم الطريقة التي ستكتب بها عن هذا الواقع. ثم واصل العجوز ترديد كلمة يا بني... يا بني... يا بني، وهو يبتعد كي يختفي إلى الأبد.

لم تكن هناك أيّ علاقة بين بواسير العجوز وما قاله عن الواقع. لكنني شعرت حينها بأني ـ نيوتن ـ الذي وجدها. شكرت الرجل على هذه النصيحة ورجعت إلى البيت وأنا أعدو وأتصبب عرقاً، جلست إلى الطاولة واتخذت قراري: أن أكتب طوال حياتي بهذا الأسلوب: أن يكون الواقع طعامي ولا أحتاج إلّا إلى أسنان من حجر ومعدة قوية ومخرج ضيق للشعور بقيمة ما يخرج. هل فهمتم يا أصدقائي؟ أنا لا أفعل شيئاً سوى هضم طعامي جيداً. أنا بريء! وكل هذا الخراء هو ثمار الواقع. وأنتم قد لا تأكلون بل تعيشون على الهواء فقط...

* * *

ـ عن أيّ قضية تدافع هذه الأيّام؟

ـ عن النوم.

ـ لماذا؟!

ـ حين ينام الأحياء يشعر الأموات موقتاً بالعدالة.

ـ لكنك مصاب بالأرق!

ـ لكي أثبت تفوقي على الأموات.

ـ متى ستتوقف عن الكتابة؟

ـ حين أنام.

ـ يمكنك أن تستعين بعلاج من طبيب.

ـ لا، هذا تزوير للسلام.

ـ تتحدث عن السلام، لكن عن أيّ حرب تتحدث هذه المرة؟!

ـ أكيد، إنه قتال مرعب.

ـ تقصد ضد الحياة أم إلى جانب النوم؟

ـ إلى جانب الحلم أيضاً.

ـ لا أفهم!

ـ الحلم هو دودة في دماغ النائم، وتختلف عن الدودة في جمجمة الميت بقضية العدالة. الأولى تريد أن تفك شيفرة. والثانية تريد أن تثبت عبث محاولة الأولى، لهذا فكل إنسان هو من برج الميزان. عاطفي، أحمق، رخيص، قبضة هواء.

ـ ألا تعترف بأنّك تناقض نفسك كثيراً في كل ما تقوله وتشعر به؟

- استخدام كلمة تناقض يدل على تفاهة صحافي طائش مثلك. هل تريد إلزامي أن أعيش مثل تمثال حجري وسط ساحة عامة؟ حتى كومة الحجر هذه، تملّ وتتعب وتغيّر لونها وتشحب، وحين يعيدون طلاءها يتحقق المزيد من السخرية، ورغم أن الزمن سيمدّ لسانه على الدوام في مؤخراتهم، كلما حاولوا الضحك بسبب أو من دونه.

- حسناً، أخبرني لِمَ ترتاد معارض الرسم في الليل والنهار؟

- بحثاً عن الطريقة التي سأموت فيها. كدت أُقتل أثناء هربي عبر حقل عند حدود بلادي، كان نسخة طبق الأصل لحقل فان غوغ. وقبل أسبوع عثرت في لوحة على مجموعة من الألوان تشبه ورماً سرطانياً ينتفخ في قلبي. أؤكد لك مرة أخرى أن الرسم مثل الحلم، نبوءات مشفّرة.

- ما هو جديدك؟

- كلمة جديد تذكّرني بحاضنات الأطفال في المستشفى، المواليد الطرية التي ستلتحق في نهاية المطاف بالمقبرة القديمة. مع ذلك أنا أكتب في رواية تاريخية تتحدث عن سيرة الناس الذين تغوّطوا في سراويلهم من شدة الفزع، حدث لي هذا أكثر من مرة. لا أقصد هنا أيَّ رموز في هذا الكتاب. أعني بول وخراء طازج يدفعه الرعب إلى الخارج.

- يبدو أنّك ضجر جدّاً.

- شكراً لك على هذا الإطراء الذي لا أستحقه.

- كلمة أخيرة منك.

- خراء.

نص من العصر الحجري العراقي

أحك زبّي اللحظة وأتخيل أني طفل ينظر إلى الحجر الذي يهوي على رأسه. في غاية السهولة أروي حكاية أو أن أكتب قصيدة، هكذا من دون خوف. كأن الكتابة هي تشغيل مروحة هواء. سبب هذا الاستسهال رعب متواصل. قلت مرة: أن تكتب يعني أن تمزق أحشاء حيوان بأسنانك. أنا لن أنسى الدرس. لا يمكنني أن أخلط بين حبي في البقاء ورغبتي في الانتقام. درجة الحرارة في الخارج تجاوزت الخمسين. هل أنا جادّ حقّاً بكتابة قصة حب، في مثل هذه الحال التي أنا فيها؟ لم أغادر البيت منذ أسبوع، هناك خطف وقتل وسيارات وبشر ينفجرون في كل مكان. ما لا أطيقه اللحظة فكرة كتابة نص يشبه آلاف النصوص الأخرى في العالم، الجيدة منها والرخيصة، الباردة منها والعبثية كلها لديَّ سواء. يوماً بعد يوم تتحول دهشتي من العالم إلى طبقة من الجليد. أمامي على الطاولة، الكمبيوتر الذي أكتب فيه وأنا عاري الساقين، حتى من دون لباس داخلي، أرتدي فقط قميصاً أسود مفتوحاً. مارست العادة السرية قبل خمس دقائق، بحثت في محرك غوغل عن أفضل مواقع الجنس. قذفت في اللحظة التي نقل الرجل زبه من كس الشقراء إلى فمها. ورقة مكوّرة ومبللة على الطاولة، هي كل ما تبقى من تلك المضاجعة الافتراضية. إن كان التبغ يثقب رئتي، فإن الخوف يثقب دماغي، وكل لحظة أعيشها، مثقوبة مثل سمكة مشوية. وأتخيل الموت ثقباً تتسرب منه الحياة إلى مكان أكثر رعباً وإذلالاً. قرأت ليلة البارحة أن ستالين كان يقول: إن موت مليون هو إحصاء، لكن موت إنسان واحد هو مأساة. في هذه البلاد يعرف

الجميع قصصاً لا تنتهي عن الحجر والموت: داست عليه الدبابة في حرب إيران وخرجت مصارينه من طيزه. قناص في حرب الخليج الثانية وضع في عينه ثلاث رصاصات. مات في الأسر بمرض الحسرة. عثروا على عظامه في مقبرة جماعية. صبوا عليه التيزاب في سجون الدكتاتور. قطعوا خصيتيه وأعطوها للكلاب. اغتيل في زقاق. الطائرات الأمريكية قصفت بيت العائلة بالخطأ، صارت العائلة تشريب لحم. مزقته نيران صديقة. مات بعبوة ناسفة على جانب الطريق. احترقت البناية على أثر انفجار شاحنة بنزين مفخخة. وجدوه من دون رأس في قاع النهر. اغتصبوها ورموها جثة في المزبلة. أمّا أنا فلا أعرف غير قصة موتي. قربي الكلاشنكوف، فربما يقتحم دادائيل البيت في أيّ لحظة.

قصة حب من حضارة العراق القديمة

أنا لا أحب أكل الدود الطيب

أنا أحب دادائيل الذي يجلب لنا الطعام

دادائيل يأتي لنا كل ليلة بطفل من مكان بعيد

دمه حار ويبكي كثيراً

نأكله بسرعة ونكسر رأسه وعظامه بحجر قوي

لكن دادائيل مات في صباح العاصفة عند الشجرة الشريرة

عظام دادائيل تحت المطر

زوجة دادائيل وحيدة تصرخ في الوادي

ثلاثة رجال يحبون إدخال أصابعهم في ثقوبها

بعدها تجلس جائعة وتتبول قرب النار

لكن دادائيل مات

وأنا كبرت وصارت لديَّ يدان مثل الصخر

بضربة واحدة أفتح رأس طفل لا يتكلم

ليأكل أولادي وتنتفخ بطونهم

ليأكل أولادي وتضحك عيونهم

لكن اليوم هو يوم السماء المخيف

القمر يصرخ جائعاً،

وطعم الدود مرّ

ودادائيل عاد

مثلما عاد جدي بعد أعوام طويلة

متى أموت أنا لكي أعود

دادائيل أكل أولادي،

كان يتضور جوعاً بسبب الموت

عانقت دادائيل الجميل

ـ لقد عدت يا دادائيل...

سنأكل سوية، ونعلق عظام الأطفال على أغصان الشجر

وندخل أصابعنا في ثقوب النساء

غنِّ يا دادائيل غنِّ

الغابة جميلة جداً

وفيها معجزات وطيور وأطفال

غنٍّ يا دادائيل

لكن أبي دادائيل خاف كثيراً

حين شاهد الماء والهواء يخرج من عيني

كنت أنظر إلى عين الولد الذي لم يمت بعد

كان يبتسم ونصف رأسه مطحون بحجر

دادائيل أكله في الغروب وهو يغني

أتوقف عن الكتابة، وأبحث من جديد عن بيت دعارة في شبكة النت. صوت رصاص في الخارج يصل من بعيد. سيارة إسعاف. سأكتب قصة حب بعد قليل من حضارة العراق الجديد. أوّلاً عليَّ أن أعثر على شقراء أخرى تحرك أصبعها فوق بظرها. لا يمكنني الكتابة، جربت كل الطرق البالية والجديدة. أحتاج إلى أسلوب الظلام حين يأكل النهار. العالم يرهب الكلمات القليلة التي بحوزتي. على الطاولة أمامي أيضاً كتاب القرآن العظيم. أبحث في سورة النساء عن الخوف من النساء. وأحاول أن أخيف دادائيل بقدسيته. إنه أعظم كتاب في العالم. كتاب يسهر عند وسادات المحتضرين. كتاب يعاقب الدكتاتور بالموت كل من يفسره.

كتاب يحمله الدكتاتور قبل أن يعدم

كتاب يقسم عليه الشهود والأبرياء والقتلة والوزراء والجنود

كتاب يشرح طرق جلد النساء وبركة مضاجعتهن

كتاب حرب وكتاب سلام

كتاب ملفوف بقطعة قماش خضراء في بيوت الفقراء

كتاب غلافه من ذهب في بيت الملك

كتاب يقرأ فيه السجان والجلاد

كتاب يتلون منه قرب شواهد القبور

كتاب يزوجون به ويطلقون به

كتاب يوزع الإرث ويتدخل أيضاً في الطمث

كتاب يمنع النبيذ ويتحدث عن الشعراء

كتاب يشرح السماء ويخاف من الخنزير

كتاب يقول المال والبنون زينة الحياة الدنيا

كتاب يقول يوم لا ينفع مال ولا بنون

كتاب طيب القلب يتحدث عن النملة والفيل

كتاب رحمة ومحبة وبغضاء

كتاب يتمزق فيه قميص يوسف وتخرج فيه الأرض أثقالها

كتاب لا يستحي فيه اللّه أن يضرب مثلاً

كتاب فيه العدس والتين والبصل والعسل والثوم والزيتون

كتاب فيه البحر والحوت وأنهار الخمر وسفينة نوح

كتاب فيه الزنى والرجم وقطع اليد والجبل الذي يتصدع

كتاب يهدي من يشاء ويضل من يشاء

كتاب قطعوا الرؤوس باسمه ووزعوا الطعام للمحتاجين باسمه

كتاب فيه البقرة والنساء والكهف والنمل والدخان

كتاب شمس وصحراء

كتاب ليل وقافلة

كتاب معجزة

وينقطع التيار الكهربائي، قبل أن يتمّ إحصاء الموتى في غرفتي. ظلام في دمي. ظلام في الكون. ظلام في الكلام وظلام في الصمت. أشعل شمعة رمزية وأبكي. دادائيل يطرق على الباب ميتاً. أنا لا يحق لي أن أكتب عن دادائيل آخر. أنا دادائيل...

دادائيل شيطان وموسيقى

دادائيل روح تنفجر كل قرن مرة واحدة

الذعر وقوة الحب

البساطة وسرّ أحشاء البحر

يصلب ويعود

دادائيل يقذف منيّه بقوة الموت الحياة...

كورش قادر

كورش قادر: شاعر وطبيب، من مواليد (كركوك) عام 1971، صدرت له مجموعة بعنوان: (انشطار الظلّ)عام 1999 ثم أعقبتها مجموعة بعنوان: (شبيهي المذهل). قدمت له زوجته الفطور، دخل غرفته، استمع إلى باخ... ثم شنق نفسه!

من الغباء والبشاعة السؤال لماذا!!

اتخذ قراره عام 2006.

* * *

ما الذي تفعله القصيدة حين تشتد الحرب!!

كنا نفكر أنا وكورش عبر الهاتف قبل أن يرحل:

تصحو كئيبة كعادتها. تنط من النافذة إلى الحديقة. تتمخط. تتبول بين الورود مثل بنت ذكية. تلمح حنفية الماء تقطر. تتثاءب. يصل ساعي البريد. تشمّ جيفة دبور ميت. لكنها تفتح الرسائل التي تكرهها عن عمد. رسائل الأنبياء، رسائل الأدب، رسائل الأصدقاء، رسائل الحرب ورسائل السلام. تتبول فوق كل رسالة مختومة. على مائدة خشبية تجلس كعجوز مسحورة. تقشر البصل، لعلها تبكي مثل بقية القصائد. تتخيل. يخطئ بعضهم ويظن أنّها تفكر. كيف أنّها لو لم تولد مع البشر. على كوكب من دون حدائق ومن دون رسائل. كوكب تتنفس فيه القصائد من دون شكل. بلا حراس لغة ولا مزوّري ضوء. كوكب لا تنبت فيه

الأحاسيس والأعشاب والدماء جنباً إلى جنب. كوكب منزوع منه حسّ الدراما. تشعل سيجارة. تلمح غيوماً تتآمر. تسبّ القصائد المنهكة ليلاً نهاراً في النحيب على القتلى. تضيف لهم اللّه وسبعة ملائكة. تلحس طرف السكين مثل مجنونة. تربط رأسها من شدة الصداع. تفتح ألبوم صور العائلة: قصائد منذ مئات السنين، بعضها يشع كألماس وبعضها أكل منها الزمن أو صبغ مغزاها الصدأ. تعثر على الدبور، ترسم له في مخيلتها بقعة شمس صغيرة وسرب من النمل يفرّ بجناحي الدبور إلى حفرة معتمة. تقطف برتقالة وتخرج. تمطر حين تشق طريقها في الزحام المرعوب. لا تعود إلّا بعد منتصف الليل. ثملة. تتقيأ فوق الشراشف. تحيض. تدخل الحمام. أمام المرآة تفرغ جيوبها مما دسّه الأصدقاء من آراء حول الشعر. فجأة ينطّ الفزع إلى قلبها. تتخيل أنّها تورطت اللحظة في كتابة رسالة ما. تمحو ما تخيلته بغضب وهلع. تجلس على مقعد المرحاض. تباعد بين ساقيها مثل امرأة هدّها النعاس. تتبول. تغفو. تحلم. تصحو. تنطّ من النافذة إلى الحديقة. تسقط قذيفة فوق شجرة برتقال. تخرج شوال البصل.

تتخيل كوكبها الفارغ...

قربان

في تسعينيات القرن المنصرم، كانت هناك شقة صغيرة في منطقة الكرادة في بغداد، هي شقة الطبيب والشاعر كورش قادر. كان يجتمع أصدقاء كورش فيها كل مساء: عدي رشيد، سمر قحطان، معتز رشدي، باسم حمد، سليم جواد، باسم الحجار، ياسر قادر، حسن بلاسم. كان غالباً ما يندلع في تلك الشقة ضحك ونار. ضحك كثير، منه الأسود ومن الأبيض. وكان هناك كتب وموسيقى وأفلام ونساء ودخلاء في بعض الأحيان. كانت اللقاءات من أجل القصيدة والسينما والرواية واللوحة وخشبة المسرح. كورش قادر، شنق نفسه في مدينة السليمانية، ترك مجموعة شعرية بعنوان: «انشطار الظل»، وأخرى بعنوان: «شبيهي المذهل». الأصدقاء توزعوا على أنحاء هذه الأرض المعجونة بالذل والرعب.

تماسكوا أصدقائي، ليس من أجل هذا العالم. لتذهب إلى الجحيم، حروبه ومعاهدات سلامه. تماسكوا من أجل أن نضيف إلى مكتبة العبث المزيد من قصائد الضحك والانتقام، أو من سيكون قربان البحر التالي!!

* * *

آخر رسالة وصلت من الشاعر عبر البريد الإلكتروني:

حسن أيّها الملعون، أنت تبحث عن أشياء أنا أبحثها، وقد كنت قرأت شمبورسكا، والتي يترجم أغلب أعمالها الشاعر والناقد هاتف الجنابي، والذي زار

كردستان ولم أحظَ بلقائه للأسف البالغ. أحبها لدرجة كبيرة فهي بسيطة ولكن عميقة هي فكرة القصيدة...

أقرأ لها صمت النبات، وكذلك تادييش قرأت له مختارات. كلمة نوبل أيضاً رهيبة لشمبورسكا. حسن، هذا العالم في غاية القذارة، زد على ذلك سخرية عدم وجود غيره لحسن الحظ، ناهيك عن باحة الجنون الأخيرة التي تنتظرنا بكل يقين. سرفانتس يسميه وادي الدموع عالمنا هذا، أمّا الحياة سأسمّيها أوهى النسمات في جهنم الزمن. وأنت، ما الذي ستفعله. ربما ستأتي لحضور مهرجان!

أم إنني أختلق ذلك احتيالاً على شعور مرّ هو الرغبة في رؤية شخص يعاني من مرض اسمه: حدس العاقبة. هل ستأتي حقّاً، ففي ذلك عزاء لغريب يقطن هذه الأوقات والبقاع.

كورش

* * *

نصّان بقلم الشاعر كورش قادر

حلم

نصفُ إغماضةٍ

تكفي لإيقاظ الحرب

عندما يغدو التمييزُ

بين حروفِ الحلمِ

وأحشاء الرأسِ

ثرثرةٌ مؤلمةٌ

ومهاترةٌ مشوّهةَ الظلِّ

لا تمتُّ بصلةٍ للضوءِ،

ما كان لكَ أن تُقحِمَ العينَ

في محاجر الموتى

وتضفرُ الخطى حبلاً

لشنق النهار

استدار السكونُ في استواء المرايا

مستبدّاً بالحبِّ يقتفي أثر الموت

مجدٌ مُشيّدٌ وفتات

بهاءٌ وهباءٌ

هو الحلمُ

ائتلافٌ شائكٌ لصورةٍ وعرة،

بعينيه الراسختين ِ بعينيكِ،

تُراكَ ما أنتَ؟

من هو الكائن الجدير بالحياة؟

دلمونْ

(أيها الباب لو كنتُ أعلم أن هذا سيحلّ بي

وأن جمالك سيجلب عليّ المصائب

إذن لرفعتُ فأسي وحطمتكَ

ولجعلتُ منكَ كلكاً)

من ملحمة كلكامش

موت أنكيدو

ذاك أن (إيتانا) لم يعثر على عظام النسر لينفخ فيها جوهر الهواء إيقاظاً لنشأة التحليق

فلربما رُجمَ وضَلَّ سبيلَهُ في الجهات الأربع...

وقد حُرِّفتْ في خرائط كانت تطفو في دجلة أزمنة قبل أن يلتئم

إذ فما جدوى أو هراء تبجيل أو تكفير مَنْ يتكبدون عناء حمل اسم الفصول

في فخار مطعون بمذاق البرق

بالنبش أو بالتحديق الشاق في النجوم

ممسوسون كما ثيرانُ حُمّمتْ بالدم وانهدمتْ في معابد الأجنحة وهشيم القصب

هائمون خائرون ذهاباً وإياباً عبر خُرم ليرمّموا رمادَ السرد

لا ابتهالاً لصغار الأفعى وهم يُذبحون كل يوم عند جذع الشجرة

بل وإيغالاً في مدّ الأنابيب وسلالات وأسلاك عبر الجرح القديم

أو أن من حملننا بأحشائهن خللَ القرون

وهنَّ أضحياتُ أعياد مقدّسةٍ باطلة

لم يتضرّعن وينحرن الدموع لدموزي

وإنانا سائلة سلّة النواميس

وقد نذرتْ خواتمها واقتلعت عينيها وألقتْ بهما في المبخرة

بعد أن خُيّلَ لها أنّه

يُصلبُ على مداخل ومخارج المدن

غداة جُنّ بالعشبة

وأيقنتْ أنّه لن يُشفى أو يُبَعث ليحرثَ لها فرجها أبد الآبدين.

وبذلك آثرتْ أن تظلَّ محجرين شاخصين ورخاماً مبتور

الأطراف في متحفٍ يجوبه المخنثون وأشباه الناجين من الطوفان.

كلب جياكوتي

علبة الشتائم التافهة في جيبي. في كل خطوة أكتب أقصوصة منحطة عن اسمي. أقصوصة خاوية تشبه أنفاسي الكريهة كلما فسد الحلم في قلبي. وهذا كذب أيضاً. فأنا أكتب أقصوصة لسان مقسوم إلى نصفين. هي لا تشبه رائحة الورم الذي ينبض بل تشبه مسامير التابوت الباردة. لكنني فكرت أن أتوقف قليلاً عن كتابة هذه الحافظات المليئة بالبول والخراء، وأكتب أقصوصة هادئة عن يوم مثلج صغير قد مرّ من أيّام حياتي.

قلت لنفسي: من أجل مسّ نعمة مضامين الموسيقى.(ها ها ها...)

كل مدينة هي طبق مدوّر يأكل منه الموتى والأحياء بالتساوي. ينزل الثلج. لا ينزل. ينسكب فجأة. ربما كان كل خزين السماء المقرر والاحتياطي من الثلوج قد سكب دفعة واحدة. البحيرة القريبة تجمدت منذ أسبوع. طيور بلهاء تحتمل كل هذا البرد، تقف وسط البحيرة. تتناقر فيما بينها. وراء البحيرة من الجهة الأخرى يترنح القطار وهو على وشك الدخول إلى المحطة. حقائب وصلت وأخرى ستغادر. هذه حقائب كلاسية. عناق ورحيل. حقائب جلدية مكتظة بالشحم والأحاسيس الفاسدة. أنا لا أتذمر. فقط أنظر في يومي مثل مريض يتعافى.

لا يمكن العثور على نفس في شجرة أو حصى أو بناية أو إنسان أو فكرة. كل شيء أصبح تحت الثلج. لا أعرف اسم البحيرة. وصلت قبل شهر واحد إلى هذه المدينة. هذا يعني أنّه ما زالت هناك فرصة للتنفس قبل أن أتعلم عناوين الأماكن

واللغة والأسماء. أي قبل أن تنسف نعمة الاختفاء. تنزل الآن دفعة جديدة من الثلوج ببطء كأنّها أسنان موتى نظيفة. أخيراً تحققت جميع أمنياتي. حصلت على لقب الهارب الأبدي بجدارة (وهو عنوان مناسب لفيلم هندي طويل). وسعيد أنا برداء الشبح الذي أتركه على كتفي كأنني لست أنا. لكن من قال إنني وحيد إلى هذه الدرجة. برفقتي زوجي الحبيب: كلب جياكوتي. ها هو يعضّ طرف بنطالي متوسلاً. أظنه ليس جائعاً. اعتاد التوسل بسبب حرقة مبهمة في حنجرته. تماماً مثلما نحتاج نحن في ساعات الشك المسمومة من التوسل إلى جرعة من اليقين. أنا لا أتذمر. لكني لست سعيداً. أنا محرج فقط. يمكنني الآن أن أهدأ قليلاً وأنصرف إلى الشتائم بدل النبش في تفاصيل قلقي. نعم، توجد مضخة مكتومة تولد القلق على مدار الساعة في رأسي بطريقة هزلية. فأنا مثلما قلت: محرج من الخوف. ما الذي يعنيه أني أشعر بالخوف من فكرة أنني لن أكتب قصة بعد قليل. وماذا يخيف في ذلك. بعضهم يكتب قصة قصيرة كل ثلاث سنوات. قرأت ذلك في مجلة أدبية. الحوارات واللقاءات التلفزيونية مع الفنانين والشعراء تكون أفضل فرصة لتمرير ريش الطاووس على كونه جزءاً من الحقيقة، وآخرون يكتبون سيرهم الشخصية ويشرخون رؤوسنا حين يصابون بالعجز من الإتيان بكتابة. أنا أقسم بأني أحتاج إلى أقصوصة كل ربع ساعة على الأقل. السيرة ليست كتابة. هي مجرد حالة من حالات التقيؤ المحموم. هناك قيء هو مجرد قيء تافه. وآخر يمكن استخلاص دواء منه لمرضى المصحات النفسية، أو بوصلة لمراهق نحيف، نبتت في ضلعه فجأة زهرة الشيطان. أعرف من هو الآن بعمر ثور. قضى سنواته تلك في البكاء والحذر من أن لا يقع في الفخ، بعد أن قرأ حيوات الآخرين المريبة، وأدرك مبكراً أنّه من الأفضل التسلح بالشتائم والسخرية في كل ربع ساعة من خلال أقصوصة لا دلالة لها سوى أنّها رائحة عطنة تبعد الآخرين عنه. أن لا يفيق إلّا وهم يرتلون الآيات فوق قبره أو يشتمونه أو يصبون زجاجات العطر

فوق جثته كي يتحملوا لحظات طمره في الأرض والخلاص من جيفته إلى الأبد. لا بدّ من أنني أخرجت عنوة من رحم مشتبه به. مع ذلك لا أتذمر، ولست سعيداً وغير محرج من الخوف. هل قلت إنني مريض يتعافى؟ هذا غير دقيق أيضاً. في الحقيقة أنا ممثل لا يريد النزول من الخشبة حتى وإن انتهت الكوميديا. أريد أن أختفي قبل أن يصفق الجمهور. أريد أن أبقى على الخشبة وأن أقذف بالفواكه المتعفنة من دون انقطاع.

كلب جياكوتي العزيز، يشم الآن جذع الشجرة المتجمد. ربما بالت عجوز ميتة في هذا المكان. أشعر بأنني بحاجة إلى أن أكون حالماً. فقط لهذا النهار إن أمكن. أرجوك. أحتاج إلى الكفّ لبعض الوقت عن إطلاق الشتائم التافهة. ربما بسبب الثلج تنشأ هذه الحاجة الحلمية إلى النعاس. ما الجدوى من تسمية صديقي الشاعر ببرميل الزبالة. هو ينبش في التراث. ويقول إنه يشفط من وحله وجبة لا بأس بها كل يوم. ويكتب قصيدة هي عبارة عن فطيسة ملونة من التراث والمعاصرة. أو أن أبي لم يكن سوى: خراء منقط وهزيل. اللعنة على تفاهتي. لا يعقل وليس من الإنصاف ومهما كانت الحكة التي أعاني منها في الكبد ومرات في البنكرياس أن تسبب في عفونة هذه البحيرة المتجمدة ـ طبقة البيض الفاسدة هذه. ما زلت مراهقاً بما فيه الكفاية وأحتاج إلى حكمة ديناصور أو قضيب (بوذا) للكتابة.

في المقهى المجاور لبحيرة (أذن فان غوغ الصفراء) انحشر الزبائن في الكراسي حول الطاولات. كانوا صاخبين. تحاشيت النظر إلى اسم المقهى المعلق أعلى الباب. أحاول الحفاظ على نعمة الاختفاء قدر المستطاع. مع ذلك لا أحتمل اختفاء الأشياء من حولي، فهذا موت أعجز عن دخوله الآن. أريد الشبح، لا القبر المتحرك على أربع أرجل. أمّا عادة تغير الأسماء فقد ورثتها من عقدة أن الواقع يمكن له أن يكون واقعاً وليس حفرة الأوهام المستعرة. أنا مخادع مصاب

بالفصام وأعاني من حكة في أسفل خصيتي. لست ممثلاً لا يريد أن ينتزع من وحل الخشبة ولا سعيداً ولا محرجاً ولا حتى مريضاً.

لا توجد طاولة فارغة. يوجد كرسي وحيد وهو الكرسي الثالث لطاولة امرأة وزوجها. هل الرجل زوجها الذي تخونه أم هو مجرد قضيب مؤقت تستخدمه لهذه الأيّام الشتوية. وافقا بأدب على مشاركتي طاولتهم. تعمدت أن أبعد الكرسي قليلاً عن الطاولة كي لا أضايق أنفاسهما. خاصة أن الرجل كانت تفوح من فمه رائحة الثوم. كانت تصل إلى أنفي مثل أصبع قتيل مدفون في حديقة حيوانات. ربطت (كلب جياكوتي) بمسند الكرسي. كانت المرأة قد تخطت العقد الثالث بكثير. أسنان الموتى في الخارج ما زالت تصل من السماء في هجرات جماعية. خطرت لي فكرة وأنا أحرك السكر في كوب القهوة: لمَ لمْ أتبول دمي في تلك الأيّام. أو على الأقل لكنت داويت تلك الحكة التي تسببت في سلخ دقيق ووحشي لجلدي. يبدو أن المرأة لا تستخدم قضيب الرجل، فهو مجرد صديق من الماضي القريب. أو قل قضيباً سابقاً تحاول أن تتحاشاه الآن أو التخلص منه. لو كنا في مشهد سينمائي وكنت المخرج وكانت هي الممثلة. لتركت لها حرية التخلص من السكير الجالس معها. ربما تطلب رمانة يدوية. تنهض. ثم تبتعد قليلاً: وداعاً أيّها الزب الميت!

تمنيت لو كنا نتكلم بلغة واحدة وأن جميع المحشورين في المقهى الآن هم أخوة. لا حاجة لأن نتكلم لغة واحدة، فقط لنكن أخوة في هذه الساعة الثلجية المباركة. نتعرى جميعاً وينيك بعضنا بعضاً فوق الطاولات والكراسي بكل حب وإخلاص. سيكون مشهداً خلاباً من الخارج مع كل واجهات المقهى الواسعة هذه. كانت جميعها من دون ستائر. إنها مناسبة تماماً لجذب انتباه من يتجمد في الخارج. فقط سنحتاج إلى مقام بصوت (القبانجي) ونحن نلهث ونتبادل أجسادنا برضا ومرونة. سيكون الثلج في الواجهات الزجاجية ستائر متحركة.

شلالاً منتظماً من أسنان الموتى العزيزة. نصرخ بأعلى أصواتنا مستغيثين من فرط الحب. الطاولات مبللة بصمغ الرجال. النساء يخربشن بأظافرهن الطويلة ورق الجدران. النادلة توزع وهي سعيدة، المناشف على الزبائن كي يجففوا عرقهم. آخرون يأتون إلى المقهى. جمهور غفير في بابها. الشرطة تتدخل لتنظيم الدخول. محطات التلفاز تنقل الحدث في بثّ مباشر إلى جميع أنحاء العالم. العدوى تعمّ مقاهي عديدة في العالم. تقرير صحفي يقول إن رئيس دولة محترم كان في أحد الطوابير ينتظر الدخول. كنت سعيداً حقّاً وأنا أرى النادلة متمددة على البار في فترة استراحتها وكلب جياكوتي يلعقها بشبق موجع. أنا مَنْ أفلتُّه من مسند الكرسي!

اللعنة! لا شيء يمكن له أن يشرب أو يأكل أو يحلم به من دون ثمن باهظ. والأحداث أكبر من أن تمسك لكي نستمتع بها. الحياة ليست في الحياة. الحياة خلف المقبرة، العبور إليها يكلف الحياة نفسها. الأشياء تجمّدت. لا نياكة جماعية ولا مناشف. العالم يختفي. أخشى أن تستمر وخزات هذا السلام المفزع طويلاً. أين هي قذائف المدفعية لتسقط على هذه المدينة. قذائف سريعة بدل كل هذه الثلوج المترنحة مثل رجل مدهوس يحاول النهوض إلى حياة ما قبل الدهس. ولو وقفت على حافة الجسر لتجمهر الناس من حولي وقد يتوسلون كي لا أقفز. ستكون هناك سيارة إسعاف وشرطة وصحافة وكاميرات وربما سيخرج علينا من حيث لا ندري سياح يابانيون بكاميراتهم الإلكترونية الصغيرة. يبتسمون بطريقة واحدة كأن أسنانهم زيّ مدرسي موحد... ابتسامة منسوخة بدقة من جدهم الساموراي عبر قرون. أغلقت باب المقهى بالخطأ على ذيل الكلب. اعتذرت له عن كل الأخطاء والكبوات. وهمست في أذنه أنني لم أرتكب يوماً ما يعرف بالصواب. سامحني. أرجوك.

أما زلت مراهقاً إلى هذا الحدّ! هل يعقل أني ما زلت أتذمر وأمرض وأمثل؟

متى أشيخ يا رب القرود؟ متى تكون لي طلعة شجرة هرمة؟ لمَ هربت إذن! هناك كانت مناجل اليأس لا تكلّ ولا تملّ. لم أنتظر رصاصة الحرب أو رصاص العائلة الملطخ برائحة السمك الميت. ألم أكن أجلس تحت شمس الصيف هناك وأبكي مثل عاهرة سرقوا زبائنها. شمسنا الأسطورية وهي تسيح بحقدها المعهود فوق سطوح البيوت. انتهت من زمان قدرتي على البكاء. لا أريد أن أتذمر. أريد أن أنزل من على الخشبة وأن لا أتعافى. لكن حتى لو كنت ميتاً لا بدّ من الشعور بحشرة صغيرة تدبّ فوق جمجمتي. لمَ لا أذهب إلى غرفتي وأندسّ في الفراش. لديَّ قصص (بورخيس) هاربة من الواقع الذي أخشاه، ولديَّ أربعة أقداح ويسكي في زجاجة كبيرة. عبرت إلى الشارع المقابل لمقهى (نهار المني السعيد)، لمحت المرأة من النافذة، وقد حصلت على قضيب جديد غير ذلك السكير صاحب لسان الثوم، وهي تضحك الآن وقد تطاير شعرها من فرط الامتنان. فكرت في العودة إلى بحيرة (أذن فان غوغ) لتدخين سيجارة. لكن (كلبي) بدأ يتجمد. أكيد أن اللّه في إجازة صيفية. اللعنة! (ههه أقصد خره باللّه!)، في أيّ دكان سنعثر على الخيوط. الكلب ينز من خاصرته.

في الشقة أخيراً. لا شيء ضرورياً باستثناء السرير. رغم أنّه سرير غير مخصص للنوم مطلقاً. كلب جياكوتي هو الآخر يعاني من الأرق. كرع كلب جياكوتي من زجاجة الويسكي وكرعت أنا ما تبقى. رميت بعلبة الأسماء التافهة في المغسلة. كانت الصحون قد نبتت فيها العفونة على هيئة أشجار صغيرة تعبة امتدت أذرعها إلى الملاعق وطالت عظمة كتف دجاجة البارحة. في زاوية الغرفة كانت أكوام من خراء كلب جياكوتي.

ـ لمَ لا تصعد إلى السرير؟

ـ أرجوك، لقد هلكت.

ـ أنا من يتوسل إليك... سنهلك من دون هذا.

ـ لكنني تعبت... لقد صرت خرقة.

تعريت ثم رأيت كلب جياكوتي يتمخط وهو يخلع سرواله. قبل أن ينقضي اليوم بلحظات كان عواؤنا يصل خافتاً إلى السماء كأن اللّه كمّم أنفاسنا بكفٍّ عملاقٍ من الجليد.

من دون تذمر، من دون معافاة، من دون الوقوف على الخشبة، من دون حرج من الخوف، ومن دون بكاء. مرّ يوم آخر من أيّام حياتي، وكل شيء على ما يرام، غير أني الآن من دون جلد.

مشاهد



السينما التي أكلتها شاحنة الزمن

المشهد:

اسطنبول ـ نهاية 2000

مثل جرذ مخطط بالأبيض والأسود كنت أتأمل ملصقات الأفلام في مدخل صالات السينما، وكنت أتلفت مذعوراً خشية أن تمسك بي الشرطة التركية وتبعدني إلى عراق الدكتاتور أيّام كان تمثاله القبيح يخنق ساحة الفردوس. البارحة كانت هناك كبسة كبيرة من قبل الشرطة في حيّ (كشك بازار) راحت ضحيتها وجبة دسمة من العراقيين(الهجرة غير الشرعية). هم الآن في سجن التسفيرات.

دخلت إلى مقهى السينما، وكان هنالك فيلم واحد مميز لـ(أوليفر ستون)

اشتريت قهوة صغيرة وجلست. ما زال لديَّ ثلاث سجائر ونصف. لا داعي للقلق في ما يخص السجائر. الرصيف علبة عملاقة من أعقاب السجائر. حاولت أن لا أحك جلدي. لكني أحسّها تحبو ببطء فوق بطني. أخشى أن تدخل سرتي. هي (التختة قرص) وهي ببساطة لمن لا يعرفها: قملة الخشب. حيّ (كشك بازار) الذي كنا نقطن فيه هو عبارة عن أكواخ أسطورية من الخشب المتعفن وسط الجزء القذر من اسطنبول. كنا نهرش طوال الليل والنهار. ولو فتحتم جلد أحد الذين يعيشون في هذه المعلبات الخشبية لعثروا على جلد ماعز بمئات الثقوب من أسنان (التختة قرص). كنت قد شاهدت فيلم (الاستدارة) أنا (وعدي رشيد)

في بغداد منذ سنوات واتفقنا على روعة الفيلم. فكرة وحشية عن رعب المأزق. كانت السينما عبارة عن مجمع كبير يضم أكثر من صالة. في الشاشة الإلكترونية فيلم (ستون) يعرض في صالة رقم 7. الجمهور بدأ يتوجه إلى الصالة. ما زالت هناك خمس دقائق. فكرت أن أشعل سيجارة. لكنني اكتفيت بتخزين بعض الصور الفوتوغرافية السريعة لمؤخرة فتاة في مخيلتي. صور لجوع وحشة الليل. يبدو أن الفيلم قد بدأ. وبينما الجمهور في الصالة، ينعم الآن بمشاهدة تايتل الفيلم. أترك أنا المجمع السينمائي متخيلاً لون كراسي الصالة التي يغوص فيها الجمهور، وذلك الشعاع الإلهي الذي يروي الشاشة حتى تنبت فيها حيوات من كل صنف. لقد مرّت ثلاث سنوات منذ أن جلست آخر مرة في صالة سينمائية حقيقية. حين مررت بالقرب من المركز الثقافي الفرنسي تحسست جيبي للاطمئنان على الليرات التركية المتبقية لعشاء اليوم. صمونة تركية كبيرة وكيلو من الطماطم. الملح يمكن طلبه من (فالي) الرومانية التي تسكن في الغرفة المجاورة. تبيع جسدها في النهار، وفي الليل تلعب مع صديقها الغجري (البوكر) ثم يتشاجران وتبدأ حفلة الصراخ. إلى أن نتدخل ونتوسل بـ(فالي)، لأنّ الغجري يكون قد جنّ من فرط الكحول.

أرجوك (فالي) ستصل الشرطة ونضيع جميعاً...

وأنا أذرع شارع (الاستقلال). حاولت أن أتذكر مشاهد فيلم (الاستدارة). كانت هناك مصطبة قرب ساحة الطيور. رغم أن الجلوس في وضح النهار مغامرة لا تحمد عواقبها. صيد مريح لشرطة اسطنبول الحمقى. لكن المكان كان يعج بالسياح الذين يطعمون الطيور. السياح عادة يكونون درع التخفي المفضل لديَّ في الشوارع وأنا المهاجر غير الشرعي.

جميلة هذه غير الشرعي. يعني: لقيط!! وهذا المهنة تناسبني أكثر من غيرها. تخيلت من قبل أن مهنتي الحقيقية: شاعر. (ها ها ها...) يا لها من مهنة مضحكة.

وأصدقائي يظنون أنني حلمت بالسينما أولاً. هم لا يعرفون قصة القصائد التي كتبتها وأعدتها إلى بالوعة البيت.

فوق المصطبة، ولأن الذاكرة تعمل بطريقة منفلتة ومرات كثيرة مثل إرهابي أحول، وجدت نفسي أبتسم وأنا أتذكر تجربتي الفنتازية في السليمانية. كانت مديرية الثقافة في المدينة قد عرضت عليَّ أن أقوم بإلقاء بعض المحاضرات عن السينما بشكل عام. بعد أن انتهيت من تجربتي في تدريس بعض الشباب في أحد المراكز المخصصة لهم. وفعلاً أعلنت المديرية عن دورتها المكثفة في الصحف والتلفزيون، وأن الدورة ستكون مخصصة لكل الأعمار والاختصاصات بشكل عام من دون قيد أو شرط. وهكذا وجدت نفسي أمام مجموعة كبيرة وغير متجانسة من المستمعين والطلاب. منهم من هو طالب في معهد الفنون يدرس الفن التشكيلي، ومنهم من هو سائق تاكسي جاء بدافع الفضول أو ربما لحلم طمرته السنوات، ومنهم من هو في عمر الخمسين، وأيضاً هناك من لم يتجاوز بعد السادسة عشرة من عمره. ومن كلا الجنسين. مع ذلك كانت تجربة جميلة وغريبة وصعبة في آنٍ. لا أريد التحدث عن المفارقات العديدة والعلاقات الإنسانية النادرة التي أوثقتني بهؤلاء الناس الذين دفعهم حبهم للشاشة السحرية إلى أن يجتمعوا في هذه القاعة وأن يقتطعوا من أيّام حياتهم ساعة من الزمن. لعلهم في هذه الساعة يعرفون شيئاً عن الحياة التي تحقق هذا السحر في الشاشة. بقدر ما أريد أن أشير إلى أحد الطلاب وهو رجل على مشارف الستين من عمره. يدعى (كمال). كان يجلس طوال الثلاثة أشهر المخصصة للدورة في الصف الأخير. وكانت قاعة المحاضرات عبارة عن صالة مسرح... على الخشبة كنت أضع كاميرا فيديو وتلفزيوناً صغيراً. وكانت هنالك ثلاثة كراسي. كنت أعلمهم بعض اللقطات. وأوزع الأدوار بينهم. البعض يجلس كممثل وآخر كمصور وآخر صاحب فكرة، وأحدهم (مخرج). وهكذا، مجرد تجارب بسيطة. لكنك لم تتخيل مقدار سعادتهم وهم

يشاهدون لقطاتهم وأنفسهم في شاشة التلفزيون. هؤلاء الناس أنفسهم يصلحون لفكرة فيلم. فكرة عن الأحلام المسكينة. في بعض الأحيان كنت أقوم بنفسي بتوزيع المهام. ومرات أترك لهم حرية المشاركة. كل هذا والعجوز (كمال) في الصف الأخير لا يساهم لا في نقاش ولا في التجارب العملية التي كنا ننجزها على خشبة المسرح. وبالطبع كنت أتردد في معرفة السبب أو أن أطلب منه المشاركة في التجارب والصعود إلى خشبة المسرح، فهو رجل كبير في السن وأشعر بالخجل منه، وهكذا مرّت أيّام الدورة السينمائية ومن دون أن أشاهده مرة يتحدث لأيّ من الطلاب أو يساهم في حوار. وكنت ألاحظ أنّه يجلب معه في كل مرة ثلاثة دفاتر صغيرة لكنه لم يكن يسجل ملاحظة أو يكتب درساً.

الآن وأنا أشاهد طيور الساحة أشعر بفزع مرّ. أتخيل أن الطيور تنقر من مخّي، كل ما يمكنني هو الحفاظ على قدرتي في الاستمرار بعيداً عن الجنون. الآن فقط أعرف أن العجوز (كمال) هو شبح الرعب الذي طاردني منذ أن التقيته. وعرفت أن قدري سيكون نسخة مخلصة من قدره. هذه الساحة هي (استدارة ستون) وهذه الطيور التي بدأت بنزع أشكالها البريئة وأخذت تنبت لها أنياب طويلة بدل المناقير، بعد قليل ستهاجم كما طيور (هتشكوك)، أنا متأكد من ذلك. كان عليّ أن أجد خطة ما للخلاص من شبح (كمال) لئلّا تتحول الساحة برمتها إلى مصيدة من الفزع. قبل أن أفرّ، كان هناك عقب سيجارة طويل أسفل المصطبة، حملته وانطلقت صوب البحر. كان السياح يتجمهرون حول مراكب بيع سندويشات السمك على حافة الماء. أشعلت عقب السيجارة وأحسست بمرارته. ربما دخنه شاعر مريض أو مخنث من مخنثي شارع (الاستقلال)، كان هؤلاء أطيب الكائنات في التعامل معي في اسطنبول. واحد منهم عرض عليّ أن أعمل في صالون للحلاقة خاص بهم. لكنني ترددت حين فهمت أنّه عليّ أن أقدم خدمات أخرى للزبائن غير الكنس وغسل الرؤوس. أخذ لعابي يسيل وأنا أراقب

عجوزاً ألمانية تحتسي البيرة مع السمك. ربما عليَّ أن أوافق على عرض صالون الحلاقة. كل يوم ألمس مؤخرة زبون مقابل قنينة عرق كاملة ومبلغ من المال يكفي لثلاث وجبات دسمة. وربما أتمكن من شراء ملابس سائح أنيقة. وهي تساعد على التخفي جيداً عن كلاب الصيد/ الشرطة.

لكن شبح (كمال) كان قد أجبرني أخيراً على البكاء هذه المرة. كنت أنظر إلى البحر وكأنني أرآه من خلال نافذة تغرق بالمطر. دموع... دموع... كل ما يمكن فعله لحظة انشطار الكائن إلى نصفين من العذاب. كان صديقي (خضير ميري) يقول: (الكائن نصفه حلم، والآخر مرحاض).

قبل أن تنتهي دورة السينما بثلاثة أيّام، غامرت في سؤال العجوز (كمال)، أن يتقدم إلى خشبة المسرح ويحاول أن ينجز لقطة قريبة. لكن الطلاب أخذوا يتهامسون وينظرون لبعضهم البعض بخجل. أمّا هو فقد كان ينظر إليَّ ودموعه تشبه نافذة البحر الممطرة. أحسست بالإرباك. بعد أن كررت طلبي ولم يخرج سوى المزيد من الصمت والتردد في القاعة.

نهضت (ثاواز) من الصف الأول وهي أصغر الطلاب أو بالأحرى هي تدرس الرسم في معهد الفنون. اقتربت وهمست في أذني.

ثاواز: أستاذ ثازاد.. كمال... أصم!!!!!

كمال... أصم!!!

ما الذي يفعله هنا إذن. أيّ فائدة من محاضرة عن السينما. صحيح!!. حكايته كانت قد تكشفت لي بعد انتهاء المحاضرة. روت لي (ثاواز) حكايته. حين كان كمال في سنوات السبعينيات يحلم في إنجاز الأفلام. قبل أن يتعرض إلى حادث مشؤوم. ثم مرّت الأيّام والأشهر والسنوات فوقه مثل شاحنة يقودها سفاح سكير. إلى أن وصلت أشلاء (كمال) إلى قاعة المحاضرات العجيبة هذه.

في اليوم الأخير من الدورة. تحدثت معه. أو حدثني هو بالإشارات وأطلعني على ثلاثة دفاتر صغيرة. أوراقها ذابلة وقد ساح فوقها حبر أزرق وتعرضت لعصف ريح شديدة. كانت الدفاتر عبارة عن توثيق لكل فيلم شاهده في تلك السنوات. دوَّن اسم كل فيلم ومخرجه وكاتب السيناريو واسم المنتج والشركة والمساعدين. بل كل أسماء المساهمين في الأفلام التي جاءت في التايتل.

أرشيف أحلامه التي داست عليها شاحنة الزمن بسرعة جنونية موجعة!!

أحسست بحاجة ملحّة للتقيؤ أو الاختفاء وأنا أتخيل مصيري نسخة مكررة تحت عجلات الشاحنة. بل إنني على يقين من مصيري النسخة. السينما ستتحول بالنسبة لي، إلى دفاتر عصفت بها الريح.

فكرت في العودة إلى الساحة ومنح طيور هتشكوك كل حبة ما زالت تتقد في مخّي الذي يدمع الآن.

لكن البحر كان أروع. ويمكن معاودة الهذيان وكتابة قصيدة إلى البالوعة بدل السينما التي أكلتها الشاحنة.

كادر

...

لم أعد أتذكر ما هو الحادث الذي تعرض له (كمال) بالتحديد، أو أنّهم لم يخبروني بذلك حينها...

جرح الكاميرا[1]

المشهد:

السليمانية ـ 1999

كنا نقف على سفح جبل (ئه زمر) في مدينة السليمانية. وكانت لدينا كاميرا فيديو منزلية (في ذلك الوقت كانت هذه الكاميرا تستخدم في بغداد لتصوير حفلات الزواج). كان من المفترض أن نصور مشهداً جماعيّاً للهجرة المليونية للأكراد إلى الحدود الإيرانية عقب انتفاضة 1991. ثلاثة مشاهد ليلية. وكالعادة أنا توهمت كثيراً في صناعة مشهد من خلال ما أسميه/ بالممكن يا أصدقاء!! لكن حتى هذا الممكن كان ضرباً من المستحيل في سنوات الحصار، ببساطة كنت أوهم وما زلت، لكنني تمكنت من تشذيبها قليلاً/ أوهامي التي أودت بي إلى حفر لا شكل ولا لون لها. وكان من المفترض أيضاً أن يكون في المشهد المقصود مطر شديد يهطل على رؤوس المساكين على سفح الجبل العاري. أول المآزق التي واجهتها كانت في كيفية الحصول على مجموعة من الكومبارس. في مدينة لا يوجد فيها كاميرا سينمائية واحدة ولا حجرة صغيرة لتدريس السينما ولا حتى قطعة خشبية صغيرة لتدوين أرقام المشهد (الكلاكيت). صنعنا كل شيء بأنفسنا وكأننا في العصر الحجري نبتكر حاجاتنا الصغيرة بسعادة وحشية. كنا بحاجة إلى مجاميع من أطفال وشيوخ ونساء وشبان. لن نطيل عليكم أعزائي، أخيراً، وجدنا الحل!!

---

(1) جرح الكاميرا: فيلم روائي كردي (سيناريو وإخراج حسن بلاسم)1999

توسّل كل من كان يعمل في الفيلم من ممثلين ومساعدين بعوائلهم لإنقاذ مشهدنا. قل إننا بعد جهد وتوسّل ومشاورات حصلنا على ما يقارب 16 كائناً بشريّاً. رغم أن العدد قليل بالنسبة لمشهد هجرة مليونية. إلّا أنني كنت قد وضعت خطة(أضعف الإيمان) من خلال الزوايا التي سألتقطها، لمعالجتها فيما بعد مع أرشيف وثائقي عن الهجرة، موجود في محطات التلفزة الكردية. والآن جاءت أزمة المطر!!

كان أستاذ مادة المونتاج في الأكاديمية يؤكد لنا دائماً على مقولة سيبليبرغ): أنا أحلم والآخرون ينفذون أحلامي.)

حسناً الخطة الآن أن نقنع مديرية الإطفاء في المدينة لمساندتنا بسيارة إطفاء تزودنا بماء المطر. يبقى أن خرطوم الإطفائي بحاجة إلى تنظيم مائه المتدفق إلى حبات مطر. لكن إطفائيّاً (لامعاً!!) أخبرنا أن بإمكانه رفع الخرطوم إلى الأعلى ليبدو الماء النازل وكأنّه مطر حقيقي، وأقسم لنا إنه جرب ذلك أكثر من مرة. وبدا أن صديقنا قد أطفأ بيتاً محترقاً فيما قبل وهو يحلم بأنّه غيمة تمطر على بيت الناس المنكوب بالنار.

كل شيء جاهز، كنا على سفح الجبل عندما دخل الليل، الكومبارس (عوائل الممثلين)، كاميرا أعراس، مصابيح صغيرة تستخدم في إضاءة المآتم، وسيارة إطفاء، وإطفائي نشيط يحلم أنّه غيمة.

كان الفيلم عبارة عن فيلم داخل فيلم. أي إن مشهد الهجرة على أساس أنّه ينفذ الآن من قبل مخرج داخل المشهد نفسه(الممثل شوان) الذي أقوم أنا بالطبع بإخراج مشهد (المخرج مع المهاجرين) في موقع التصوير الحقيقي. وكان الحدث الأول أن يظهر الناس أسفل المطر (هو الآن إطفائي غيمة) ثم نشاهد المخرج (داخل الفيلم) وهو يتأمل الممثلين. إلى أن يصيح بغضب وانزعاج:

stop

بعدها أزعق أنا بدوري (ستوب) للانتقال إلى زاوية ثانية.

طبعاً المشهد كان بحاجة إلى أكثر من إعادة. ولم يكن صاحبنا الإطفائي العزيز غيمة أو أيّ شيء آخر، بل كان يصب الماء فوق المساكين مثل شلال حقيقي. وبرودة ووحشة سفح الجبل في الليل تكبران بقوة. والناس تحولوا بعد الإعادة الأولى إلى غرقى انتشلوا للتوّ من محيط هائج. وبدأت الفوضى تدبّ تدريجيّاً بسبب الطين الذي أخذ يتسع مع دفعات ماء صديقنا (الشلال). وكان المخرج داخل الفيلم يصيح في كل مرة:

stop

وأصيح أنا: (ستوب) أخرى / للإعادة.

حتى وقفت العوائل المسكينة التي لم تكن تفهم طبيعة المشهد، ولم يزعق المخرج داخل الفيلم بصوت مرتفع عليهم وهو غاضب بشدة، ولم أصرخ أنا بدوري أيضاً.

طبعاً المخرج (الممثل) كان ضمن واجباته التمثيلية أن يكون غاضباً داخل المشهد. وأنا في حقيقة الأمر كنت غاضباً بفعل صديقنا الإطفائي الذي صبّ علينا كل خزين سيارة الإطفاء دفعة واحدة.

هنا توقف عقل العوائل المسكينة عن العمل. ثم رأيتهم يتشاورن فيما بينهم باللغة الكردية. تقدمت امرأة منا وقالت بصرامة:

ـ نحن لن نعمل معكم إلّا بشرط واحد.

دهشنا جميعاً للتمرد المخيف هذا. وكانت المسكينة ترتجف من البرد. يا لطيبة هؤلاء الناس. واللعنة ألف لعنة على حماقاتي.

المرأة: أحنة مو بقر تصيحون علينه... إمّا كاكا ئازاد[1] يصيح (ستب)[2] علينا (ئازاد، هو أنا حسن بلاسم) أو يصيح كاكا شوان: ستب!!

(شوان الممثل الذي يلعب دور المخرج)

هنا انفجر فريق التصوير بالضحك من دون أن يفهم الكومبارس المسكين سبب الضحك. وظنوا أن الجميع يسخر منهم. فدخلوا معنا بعناد وأصرّوا على تحديد أمر: ستوب!!

كانت السليمانية أكثر من مدينة جميلة. وكان الناس قصائد من الطيبة والمآسي. وكان الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل.

وكان كاكا شوان يصيح: ستوب. وكنت بعد الاتفاق مع فريق العمل أهمس مثل لص في أذن المصور: ستب!! لكي لا ينزعج الكومبارس المغضوب عليه بخرطوم السيد شلال. وكان المصور لا يكتم ضحكه بعد كل همسة: ستب / في أذنه!!

السيد شلال الإطفائي أفرغ أخيراً حتى الخزين الاحتياطي الملحق بسيارة الإطفاء، ولم يبقَ فيها قطرة واحدة. لكنه للأمانة كان مخلصاً وكأنّه يطفئ حريقاً كبيراً. وليس مشهداً مسكيناً بحاجة لحبات صغيرة من المطر.

أقفل باب غرفتي في الفندق القذر الذي كنت أعيش فيه. وكنت أبكي ربع ساعة وأضحك ساعة. كنت مدركاً تماماً فشل الفيلم. وفشل هذه البلاد المحكومة بالبؤس والضياع. فشل في كل زاوية وشبر. حاضر من الفشل والخيبة. تاريخ من الفشل والجهل. الفشل هو الذي كان يمطر بدقة وانتظام على المشهد العملاق.

كادر

---

(1) ئازاد: هو اسمي المستعار الذي عملت فيه في مدينة السليمانية خشية أن يبطش الدكتاتور بعائلتي في بغداد.

(2) ستب: هكذا كانت تلفظها المرأة ـ من الكومبارس

السينما وبحوثها

المشهد:

بغداد ـ أكاديمية الفنون الجميلة ـ قسم السينما 1994 ـ 1998

كنت في العشرين من العمر، وكانت السينما التي كنت أدرسها في بغداد حلماً بالنسبة لي، في وقت كانت فيه بغداد تتضور جوعاً منذ سنوات.

أبتسم اليوم حينما التفت إلى سنوات دراستي السوريالية تلك. ابتسامة باهتة من الفزع الذي لم تزل آثاره تطاردني، لم يكن لي بيت أو عائلة أو مال. ولم تكن في بغداد حينها أجوبة عن كل ذلك الجوع والخوف، حتى يمكنني الآن أن أجيب عن أسئلة عديدة منها: لِمَ لمْ يكن لي سقف أو عنوان؟

إنها قصة سوريالية أخرى يصعب شرحها في هذه المشهد الموجز. ولكن كل ما يمكن قوله الآن هو أنني كنت أملك الكثير من الأصدقاء. الأصدقاء فحسب.

حاولت قدر المستطاع الاستعانة بهؤلاء الأصدقاء من أجل التشبث بدراسة السينما بأيّ طريقة متاحة، ليس من أجل الدراسة فحسب، وإنما من أجل البقاء أطول مدة ممكنة بعيداً عن الخدمة في جيش البؤس والمرارة. مع ذلك، لم أتمكن من إكمال المرحلة الأولى. تقدمت بطلب لتأجيل السنة الدراسية. ذهبت إلى سوق (الشورجة) للعمل وجمع المال. كنت أبيع علب الحليب والصابون والشامبو، لكنني لم أتمكن من الاستمرار في هذا العمل طويلاً، بعد حادثة المطاردة المرعبة حين دهمت السوق جماعة الأمن الاقتصادي في تلك الظهيرة

اللعينة. كانت كل تجارتي كيساً كبيراً من علب حليب (كيكوز 1)، اقترب مني شاب ثم آخر من الجهة الأخرى، ولم أكن بحاجة إلى ذكاء كبير لأعرف أنّهم من الأمن الاقتصادي.

طاردوني مثل كلاب حراسة مخلصة عبر أزقة الحيدر خانة إلّا أنني تمكنت من الإفلات بأعجوبة من قبضة الشاب الذي كان يمسكني من ياقة قميصي. خسرت كل نقودي التي أتاجر بها في كيس الحليب الذي صار أخيراً في مخازن الأمن الاقتصادي مع البضائع المصادرة. عدت من جديد للعمل في استعلامات فندق (فيروز) في شارع الجمهورية، بعد أن أقسمت إنني لن أعود للعمل فيه مجدداً، كنت أعرف النتيجة عن تجربة سابقة، وأن راتب العمل سيذهب من دون أدنى شك بين أفخاذ العاهرات وشرب الخمر، بسبب الأجواء المناسبة داخل فندق (فيروز).

لم تكن العاهرات ينقطعن عن الفندق، وكن يعملن على مدار الساعة، وفي كل مكان وزاوية. بالتأكيد كانت عودتي إلى (فيروز) أسوأ مما توقعت كثيراً. فبعد أيّام بدأت أستدين من صاحب الفندق مبالغ إضافية تفوق أجرتي الشهرية من أجل أفخاذ الساحرات الجائعة، حتى بدأ العام الدراسي الجديد.

شعرت بالضجر بسبب الطلاب الجدد لأنّ أصدقائي كانوا قد انتقلوا للمرحلة الثانية. لكن بعد قليل تعايشت واستسلمت. لفت انتباهي سخرية بعض الطلبة الجدد وبراعتهم في التهكم، لا أقصد التهريج الذي يتمتع به أغلب الطلبة، بل تلك السخرية المرة والذكية التي توفر في بعض الأحيان أنفاساً لا بأس بها، لتحمل نهارات الحصار الشائكة. اخترت منهم البعض لتصوير مشهد قصير كنت قد أعددته من بعض القصائد لتقديمه إلى أستاذ مادة التمثيل. ثم مشهد قصير آخر... وهكذا، أصبح لديَّ أصدقاء جدد ومجموعة يمكن العمل معها.

في أثناء تلك المرحلة تشكلت لديَّ صداقات أخرى خارج نطاق الأكاديمية

من خلال قاعة حوار (مجموعة حوار ستكون الرافد الحقيقي لمواصلة الحلم وصداقات ما زالت تنبض بقوة حتى يومنا هذا).

كان أغلب طلبة الأكاديمية عبارة عن قطيع من الحمقى (خاصة من أبناء تجار الحصار الجدد ورفاق حزب البعث) الذين وصلوا إلى أكاديمية الفنون لأسباب لا علاقة لها بالفن، بل كانوا يعتبرون أكاديمية الفنون الجميلة حديقة للتنزه واستعراض أحذيتهم الجديدة وقمصانهم الأنيقة، وأغلبهم دخل الأكاديمية عبر (واسطة) ما، أو رشوة. أمّا طلبة المحافظات فقد كانوا يتساقطون تباعاً ويتركون مقاعدهم الدراسية بسبب ظروفهم المادية القاسية. سأقول ومن دون تردد لأنّه مشهد من زمن الخيبة، بأن حماقة قطيع المتنزهين كانت قد بدأت تدرّ عليَّ الكثير من الفوائد خاصة بعد النجاح الذي حققه فيلمي الوثائقي الأول (كاردينا) في المرحلة الثانية، وحصوله على جائزة. لقد بدأت طلبات كتابة السيناريو وإنجاز الأفلام القصيرة لطلبة المرحلة الرابعة كمشاريع تخرج لا تتوقف. وبدأت أحرّض (مجموعتي) على مواصلة العمل معي والإفادة من فرصة التعلم، خاصة مع وجود كل هؤلاء الطلاب المتخمين والمستعدين للدفع وتمويل مشاريع تخرجهم، مشكلتهم أنّهم يملكون أدمغة من صفيح لهذا هم بحاجة (للتخرج) بأموال عائلاتهم السعيدة. بالنسبة لي كانت أكثر من فرصة مناسبة للقيام بالتجارب العملية واختبار بعض الأفكار حول شكل الفيلم القصير، خاصة وأن الأكاديمية كانت عبارة عن بناية عاطلة عن العمل وحديقة للمتنزهين! لا كاميرات لا أجهزة إضاءة، ولا حتى أبسط متطلبات العمل السينمائي، كانت هناك فقط الدروس النظرية. وأساتذة يهربون من البلاد وآخرون يموتون حزناً، وآخرون كلاب لحزب البعث. غادر الكثير من السينمائيين العراق. ومات جعفر علي. وظل مجيد الخطيب ببدلته الزيتونية وصلعته الحزبية مع حارث عبود وهما يطوفان على طلاب قسم السينما لتسجيل أسمائهم في دورات التدريب العسكري الصيفية والإجبارية.

وكان صباح الموسوي يحاول مع طلبة المرحلة الثانية في الفيلم الوثائقي من خلال حثّهم على إنجاز أفلام قصيرة بالإمكانيات المتاحة، لعلّه يحرك ساكناً. وكان الطلاب يشكون من الإمكانيات الإنتاجية. وكان صباح الموسوي يصطدم دائماً بغباء بعض الطلبة، حتى وإن توفرت لهم كاميرات.

بدأت أنا بكتابة البحوث الدراسية المطلوبة مقابل بعض المبالغ للطلبة من مختلف المراحل. ما إن يطلب على سبيل المثال أستاذ مادة السيناريو من طلبته، كتابة بحث عن المعالجة القصصية السينمائية حتى كانت تنهال عليَّ الطلبات، نجتمع في بيت أحد الطلاب. وأبدأ العمل!! كان لا بدّ من كتابة بحث مختلف لكل واحد منهم حتى لا يشعر أستاذ مادة السيناريو بأن كاتب البحوث هو الشخص نفسه. وكنت أجري بعض التغييرات الطفيفة في مقدمة البحث ونهايته على أمل أن (الأستاذ) لن يقرأ كل بحوث الطلبة المقدمة ولو شاء ذلك، لقرأ البداية أو النهاية فحسب. ثم بدأت طلبات الكتابة تصلني من طلبة الدوام المسائي. وهؤلاء كانوا يدفعون بطريقة أفضل لأنّ أغلبهم كان من الذين يعملون أو لديهم وظائف في الدولة. وأفضل من كان يدفع هم الطلبة من (العرب)، من التونسيين والأردنيين، بسبب فارق العملة، حيث سقط الدينار العراقي حينها إلى الحضيض هو وجميع أنفاس الحياة التي لكم أن تتخيلوها. لا أذكر كم من البحوث كتبت. حتى إنني كتبت نصف رسالة ماجستير لأحد الطلبة وأنا ما زلت في المرحلة الثانية، بعد أن طلب مني أستاذه المشرف ذلك بطريقة مباشرة (حسن، اكتب له بحثاً عن هذا الموضوع... لكن أرجوك لا تخبر أحداً... ولا تهتم بأمر الفلوس)، كان مبلغاً لا يفوّت في زمن الفاقة الأسود. لكن ما كان يدرّ المتعة والفائدة والسعادة سوى النقود الصغيرة التي كانت توفر السندويشات والسجائر وكلفة المواصلات، هي متعة اشتغال مشاريع (أفلام قصيرة) لتخرج الطلبة. كنت أتفق مع الطالب على سعر معين لكتابة وإخراج الفيلم سوية، وكان اسم الطالب

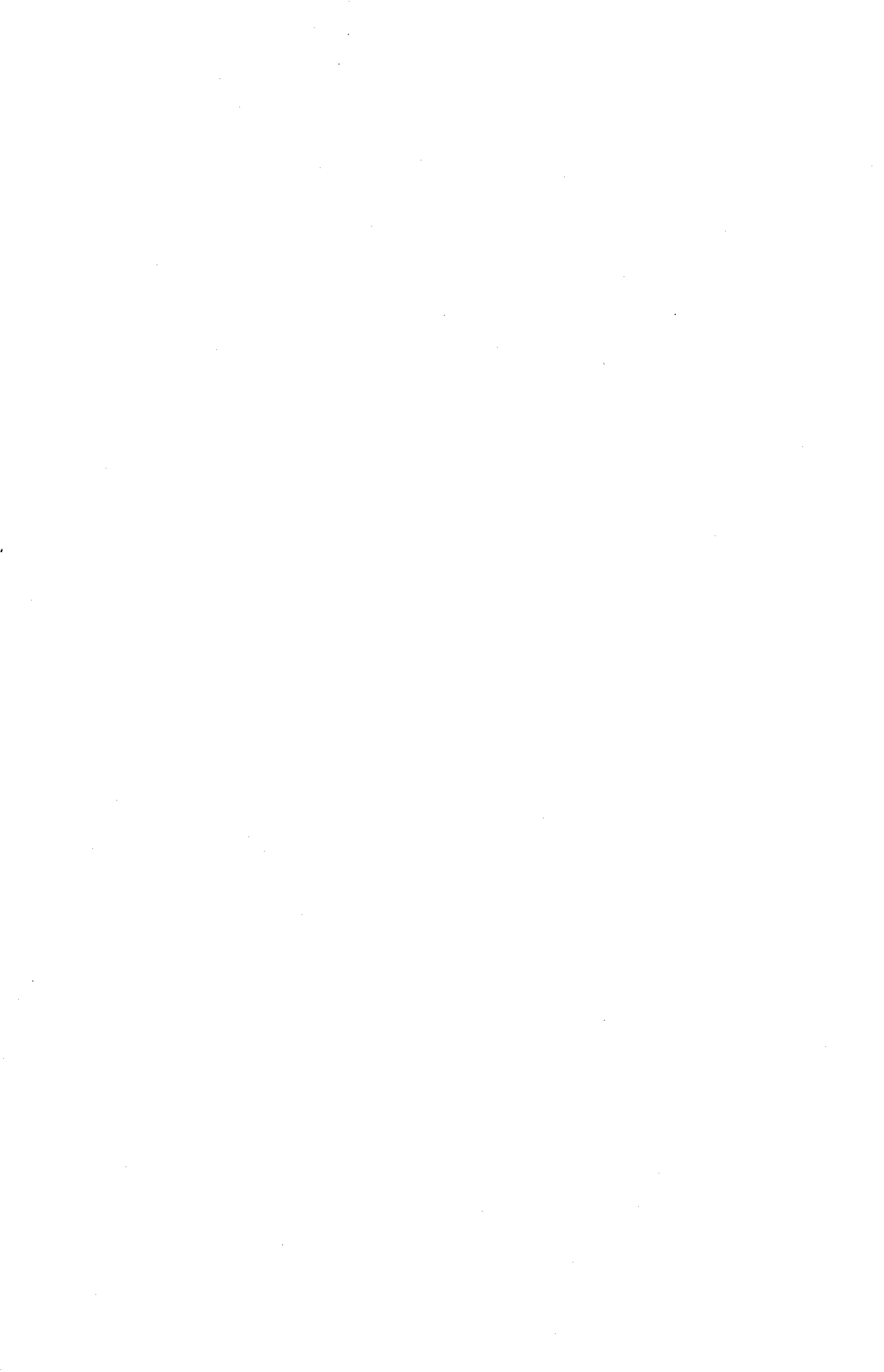
ككاتب سيناريو ومخرج يطبع في التايتل ليقدمه كمشروع للتخرج. لكنني لم أكن أتعامل مع الكتابة بوصفها مجرد كتابة ستعود عليَّ ببعض المال، كنت أحاول في كل مرة أن أختبر بعض الأفكار حول السيناريو، وأختبر قدرتي على التعامل مع الكاميرا، وقد كانت تمارين لا بأس بها.

إلّا أنه بعد مرور مدة أحسست بفظاعة حياتي وإلى أيّ مستوى منحط تجرّني ظروف الجوع والحصار. شعرت بأنني أبيع أحلامي من أجل علبة سجائر. وشعرت بأنني أتفسخ، وبأن الساعات والدقائق والثواني قد تحولت إلى سكاكين تنهش في لحمي.

لم تكن لي حقيبة أحملها، وإنما كان كيساً أسود يحتوي على قميص أزرق وبنطال جينز وبعض الأوراق والكتب، حين قررت أن أهرب بما تبقى لي من أنفاس إلى كردستان العراق. وحين وصلت إلى أول شبر بعد نقطة التفتيش التي كانت تسيطر عليها الحكومة أحسست أنني لن أعود إلى بغداد أبداً. بل لن أرضى حتى أن يعودوا بجثتي!!



دماغ مسلوخ



دماغ مسلوخ

لا أهب حياتي لكل من هبّ ودبّ

للواقع

للثرثرة

للعاصفة

للطموح

للكتابة

للدين

لمصّ دم الآخرين

أهب روحي للوحدة

نبتة في سندانة

....

الإنسان والأمل

هذه هي شباكنا البالية

نصطاد فيها أوهاماً مبتلة

أوهاماً من دون زعانف

ولحمها مسموم!

....

تعيش في المخيلة

حاجيات كثيرة

إبرة خياطة إلى جوار حيوان خرافي

نهد بحلمة فسفورية فوق عقرب محنّط

شجرة عارية تتكئ على زجاجة كحول

حاجيات كثيرة

لا أذكر من أين ومتى اشتريتها

تتكدس

تلّ

من

الهذيان

....

في الثلاجة جثة دجاجة

اشتريتها البارحة وأنا سكران

نمتُ بعد أن لعنت كل الأشباح التي من حولي

صرخت في وجه التلفزيون

وفي وجه باب الحمام

تقيأت

حضنت مقعد المرحاض مثل أم مقدسة

حلمت أنني دجاجة سكرى من الألم

مذبوحة

وداخل ذهنها، شجرة تطير...

طفل مذبوح في حقل!

....

مرات... في أكثر المرات...

في آخر الليل

أمشي

أظافري كلمات حادة

وحيداً

أخربش في الهواء

ثم أنبش في رأسي

حتى يتدفق الدم

أشرب

وأستريح

...

الفكرة نائمة

قطة كسولة في دماغي

كل يوم أطل عليها

وأقول: غداً أوقظها!

فكرة فارغة

عن

الحياة!

مثل

الحياة...

....

قتيل آخر

دماغ مسلوخ

يتفسخ

تحت شمس لاهبة

الحشرات الجميلة تشفط فحواه

الحشرات تدغدغ بقايا ذكراه الإنسانية

حشرات خلاقة

تنحت من جسد الحقيقة جيفة شاهقة

....

ناموا

أنا نائم

هي نائمة

لا توقظونا

دعونا ننام!

دعونا ننام!

دعونا ننام!

لا تزعقوا من قبوركم

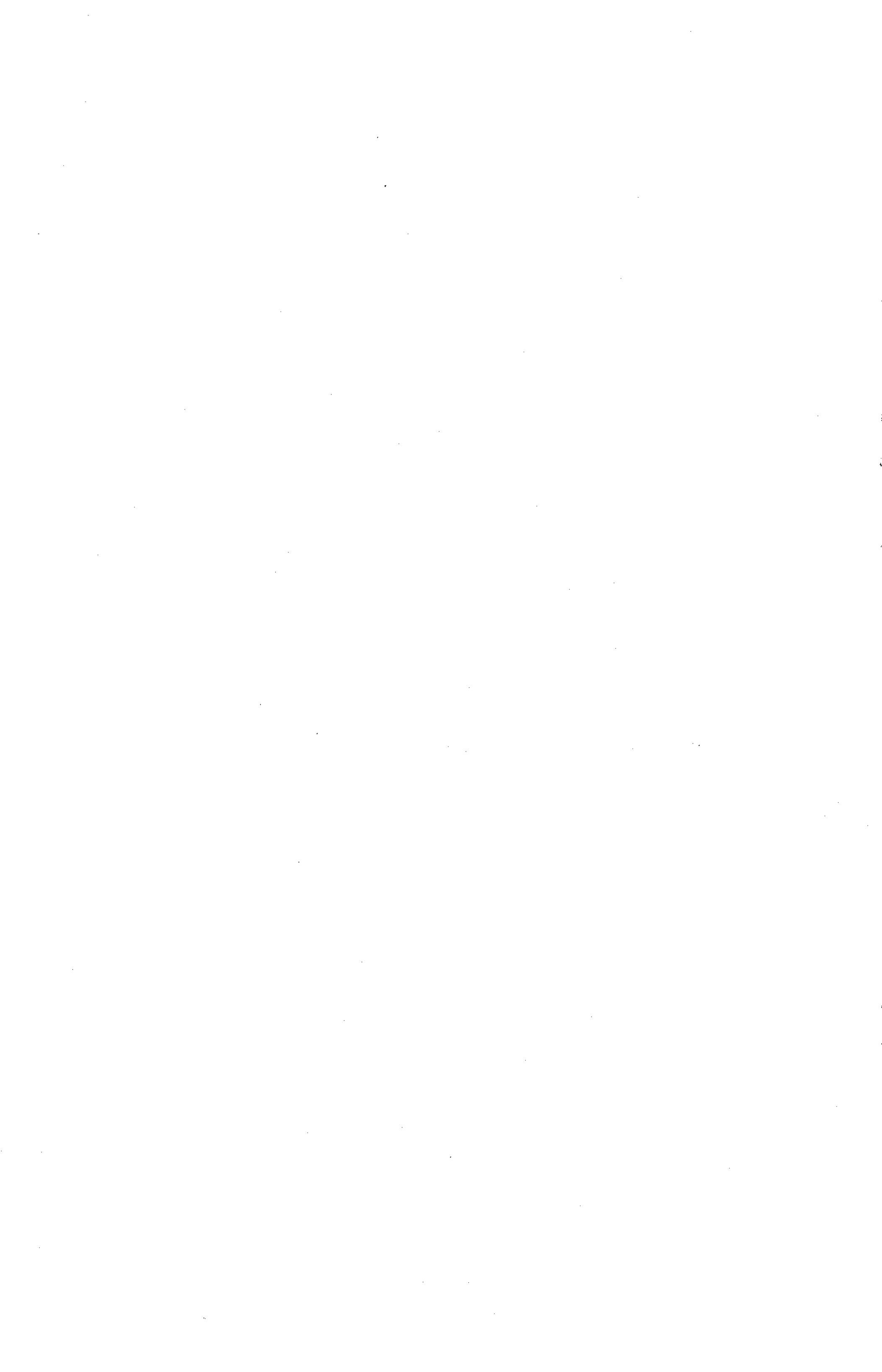


سيرة ذاتية

حسن بلاسم

- كاتب وسينمائي عراقي مقيم في فلندا.
- كتب في السينما والمسرح والشعر والسرد.
- ترجمت قصصه الى لغات عديدة.
- رشح ونال اكثر من جائزة عالمية هامة وفي عام 2014 حصل على جائزة الاندبيندنت المرموقة في انكنترا وكان بذلك اول كاتب عربي يحصل على هذه الجائزة.
- كتبت عن قصص بلاسم كبريات صحف ومجلات العالم.
- وشارك في العديدمن المهرجانات الادبية العالمية.
- وصفته صحيفة الغارديان بأنه (افضل كاتب عربي على قيد الحياة).







(افضل كاتب عربي على قيد الحياة)

-صحيفة الغارديان

الرجل القاموس

لطالما تحسّرت في حياتي على إمكان الإمساك بإحساس المحتضر أثناء الكتابة. أن تكتب كأنّك ستموت ما إن تضع النقطة الأخيرة. لكن مثل هذا الإحساس لم يكن في متناول اليد وفي مثل هذه السهولة، فالحياة ندٌّ للموت، ولا يمكن أن تسمح لكائن لا يزال يتنفس ومهما تكن حدة يأسه، بالوصول إلى مثل هذه العتمة الخالصة. فلا بدّ لها - الحياة - من أن تترك برعماً صغيراً من الأمل في قلب الإنسان: أن تحول دون أن يتسوّس نهائيّاً. هي بكتيريا مضادة غير مرئية: بكتيريا الوهم.

$ 6.00

ISBN 978-9-9226073-5-1
9 789922 607351
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain_L
dar.alrafidain
dar alrafidain دار الرافدين